



شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبِّ .. الحبِّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوَّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرِّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - لمسة خفية ..

جلست (عُلا) على الشاطئ تستعيد ذكريات الصيف الماضى والتى أخذت تدور فى ذاكرتها كشريط سينمائى .

ففى هذه البقعة وفى نفس تلك الظهيرة كان لقاؤها الأول بـ (محسن) .

كانت قد جاءت لتقضى إجازة صيف هادئة فى الإسكندرية مع أختها وزوجها وطفليهما الصغيرين .

ولم يكن قد مضى على مجيئها إلى الإسكندرية سوى خمسة أيام فقط ، عندما هبت مذعورة من فوق مقعدها وقد ألقت بالكتاب الذى بيدها .. على إثر تلك الصرخات التى ترددت حولها ، والجلبة التى أحاطت بالمكان .

وسرعان ما تبينت أنها ليست الوحيدة التى فعلت ذلك .. بل فعل مثلها كل رواد الشاطئ فى تلك البقعة .

ترددت فى أذنها كلمة .. غريق .. ثم أتبعتها كلمات أخرى حول أن هناك طفلاً يغرق .

وازدادت توترًا وهى تتلفت حولها بحثًا عن ابن أختها ، فأصيبت بالفزع عندما اكتشفت أنه قد غادر مكانه تحت المظلة .. وأنها نسيت وجوده فى أثناء استغراقها فى قراءة الكتاب الذى كان بين يديها .

اندفعت فى هلع بين أولئك المتزاحمين أمام مياه البحر ، يرقبون ما يحدث ، وهى تنادى بتلقائية وبصوت مرتفع يكشف عن مخاوفها قائلة :

- (تامر) .. (تامر) ..!

لم تتلق إجابة على ندائها .. مما زاد من مخاوفها ومن ارتفاع نبضات قلبها ، لقد حملتها أختها مسئولية رقابته ، وأشفقت عليها من شقاوته عندما أصر على أن يصحبها إلى الشاطئ فى ذهابها المبكر .

وبرغم أنها كانت تفضل أن تذهب بمفردها فى هذه الساعة المبكرة ، على أن تلحق بها بقية الأسرة فيما بعد ، أملاً فى أن تنعم بقراءة هادئة لكتابها المفضل بعيدًا عن صخب العائلة .

كانت تعلم بالفعل مدى شقاوة الطفل ، وأنه قد يحرمها من هذا الاستمتاع الذى أرادته .. لكنها إزاء إلحاحه وإصراره على مصاحبتها إلى الشاطئ لم تجد مفرًا من الموافقة على اصطحابه ، وتحمل مسئولية رعايته حتى تلحق بها أختها وزوجها .

ومع كل الاحتياطات التى اتخذتها حتى لا تجعل الطفل يبتعد عنها ، إلا أنها لم تستطع أن تقاوم جاذبية الكتاب الذى تقرؤه ، فاستغرقتها الأحداث التى وردت فيه على

نحو جعلها تنسى رقابة الطفل ولا تلحظ تسلله من جانبها .

تمكنت (عُـلا) بصعوبة من أن تجد لنفسها ثغرة بين جموع المصطافين الذين تطلعت أعينهم إلى مياه البحر ، يرقبون ما سوف تسفر عنه الأحداث .

لمحت الطفل وهو يشرف على الغرق بالفعل .. لكن المسافة كانت بعيدة على نحو لم تمكنها من تحديد ملامحه .

لم تكن لديها خبرة كبيرة بالسباحة .. أكثر من أن تدع لجسدها الفرصة للغوص فى المياه أحيانا بالقدر الذى تسمح به قامتها ، وعلى نحو يكفى لأن يبقى رأسها فوق سطح الماء .

لكنها وجدت نفسها تندفع نحو الماء ، وهى تصرخ منادية باسم الطفل ، يحركها فى ذلك خوفها .

كان اندفاعها نحو الماء كافيًا لكى يوضح للآخرين ما تنوى فعله .. فحال بعضهم بينها وبين هذا الاندفاع المتهوِّر .. برغم مقاومتها لذلك .

وكان قد سبقها إلى السباحة نحو الموقع ، الذى يتصارع فيه الطفل مع المياه ، أربعة رجال ، أحدهم الحارس المسئول عن ذلك الجزء من الشاطئ .

لكن وضح أن أحد هؤلاء الأشخاص كان أكثر سرعة

ولياقة من الآخرين فى سباحته واتجاهه نحو الهدف ، حتى إنه تمكن من تناول الطفل بين يديه ، فى اللحظة التى كان الآخرون يبذلون جهدهم للحاق به .

وسرعان ما عاد به إلى الشاطئ وهو يحمله بين يديه .. قائلاً للآخرين بلهجة حازمة برغم لهاثه من أثر الجهد الذى بذله للحاق بالطفل :

ـ أفسحوا مكانًا على الشاطئ ، فهذا الطفل بحاجة لقدر من الأوكسيجين يعوضه عما فقده .

لكن لهجته الحازمة لم تؤثر فى (عُلا) التى اقتربت منه محاولة تبين ملامح الطفل .

وما إن تبينت أن مخاوفها كانت صادقة .. وأن هذا الطفل هو بالفعل ابن أختها ؛ حتى وجدت أعصابها تخونها وتهاوت فوق الرمال فاقدة وعيها .

لم يأبه الشاب بما حدث للفتاة ، إنما انحصر اهتمامه بالطفل ، حيث عمد إلى جعله يستلقى على ظهره فوق الرمال .. وقام بإجراء الإسعافات اللازمة ، لإعادته إلى وعيه وإفراغ الماء الزائد الذى ابتلعه .

وكانت (عُلا) قد استردت وعيها سريعًا ، وهو منهمك فى ذلك حتى بدأ الطفل يفتح عينيه ويسترد وعيه شيئًا فشيئًا .. وعند ذلك تنفست الصعداء .

قال الطفل بصوت يغالبه الإعياء :

ـ ماذا حدث ؟ أين أنا ؟

بينما اندفعت (عُلا) نحوه لتأخذه بين أحضانها وهى تهتف قائلة :

ـ حمدًا لله يا حبيبى .. حمدًا لله .. لقد أوشكت على الغرق .. لولا ..

وتذكرت الشاب الذى كان واقفًا على مقربة منها ، وقد اعتدل واقفًا بقامته الطويلة وجسده المتناسق البنيان ، والذى لوحته الشمس فأضفت عليه لونًا برونزيًا محببًا .

وتحولت إليه وهى محتضنة الطفل قائلة :

ـ شكرًا لك .. إننى فى الحقيقة لا أدرى كيف أشكرك .

لكنها وجدته يرمقها بنظرات شذرة قائلاً :

ـ أما أنا فآسف لأمهات مثلك ، يتركن أطفالهن يندفعون هكذا للوقوع فى المخاطر دون رعاية أو رقابة .

وبرغم أن لهجته بدت لها عدائية ومستفزة ، إلا أن الموقف لم يكن يحتمل أن تواجهه بمثلها .. فقالت له :

ـ فى الحقيقة كنت أقرأ ، ولم أنتبه إلى أنه قد تسلل من جوارى إلا عندما سمعت تلك الجلبة على الشاطئ .

قال لها وهو مستمر فى نبرته الحادة :

- تتركين .. أى كتف أو عجلة هذه التى تلهيك عن ابنك إلى حد تعريضه للموت والغرق .

أحست (عُلا) أن فى صوته شيئًا يستفزها ويحول بينها وبين التعبير عن الامتنان له ، فقد كان يبدو متغطرسًا وهو يحادثها على هذا النحو .

وفى تلك اللحظة اندفعت أختها من بين المصطافين وهى تبدو جزعة مرددة :

(تامر) .. (تامر) .. ابنى !

تناولت الطفل من بين يديها لتحتضنه فى حنان قائلة :

- ما الذى حدث لك يا حبيبى ؟.. هل صحيح أنك كدت تغرق يا (تامر) ؟

قال لها الطفل بصوت واهن وهو يشير إلى الشاب الذى أنقذه :

- نعم يا أمى .. وهذا الرجل أنقذنى .

نظر إليها الشاب للحظة وقد بدا أنه بوغت بهذا .. ثم إلى أختها .. وما لبث أن قال لـ (عُلا) :

- إذن .. فهو ليس ابنك .. هذا يفسر إهمالك له وانشغالك عنه .. حمدًا للّه أنك لست أمه .

ولم تعد (عُلا) قادرة على أن تكبح جماح غضبها من هذا الرجل بعد ذلك ، فقالت له بصوت منفعل :

- اسمع أيها الرجل .. يجب أن تعرف شيئًا .. وهو ان إنقاذك للطفل لا يبيح لك أن تتحدث بهذه اللهجة المتعالية .. وأن تهين الآخرين .

إذا كنت قد رغبت فى أن تظهر بمظهر البطولة .. فقد حصلت عليها .. وخدمك الحظ بأن كنت أسرع من الآخرين فى إنقاذ الطفل من الغرق ، حتى تحصل على ما أردته .

وقد عبرت لك عن شكرى وامتنانى .. وأظن هذا هو ما أستطيع تقديمه لك ، إلا إذا كنت ترغب فى الحصول على بعض النقود مكافأةً مادية مثلًا .. فلا مانع لدى من تقديمها لك .

قالت ذلك وهى تتناول بضعة جنيهات لتقدمها له .

فما كان منه .. إلا أن تناول النقود ليلقى بها فى وجهها .. ثم يستكبر منصرفًا ..

وأحست (عُلا) بمهانة كبيرة من جراء هذا التصرف ، جعلتها لا تشعر بالمهانة التى ارتكبتها هى أولًا فى حقه .

فنظرت إليه وهو يبتعد قائلة فى غيظ :

ـ رجل وقح !
ـ قالت لها أختها معاتبة :
ـ كيف جعلت (تامر) يغيب عن عينيك إلى حد أن يذهب لهذه المسافة داخل الماء ؟
وخففت (عُلا) من حدة نبرات صوتها قائلة :
ـ سامحينى يا (نجوى) لقد أخطأت فى رقابتى لـ (تامر) بالفعل .
مسحت أختها على شعرها لتهدئ من حدة انفعالاتها قائلة :
ـ حمدًا لله .. المهم الآن أن الطفل بخير .
ثم نظرت إلى طفلها قائلةً بعتاب رقيق :
ـ وأنت أيها العفريت .. هل ترى نتيجة شقاوتك وعدم سماعك الكلام ؟ لقد أرعبتنا جميعًا .
استكان الطفل فى صدرها قائلاً بخوف :
ـ لن أفعل ذلك مرة أخرى .
ظلت أختها محتفظة بالطفل بين ذراعيها .. وكأنها تخشى أن يبتعد عنها مرة أخرى وهى تجلس تحت المظلة ، وقد لحقت بها (عُلا) التى كانت مازالت تحت تأثير هذه الانفعالات المتلاحقة .. الطفل الذى كان يوشك على الغرق .. وذلك الرجل المتغطرس الذى

أخذ يكيل لها الإهانات دون مبرر قوى يستوجب ذلك .. وكأنها كانت تعمل على إغراق الطفل .
قالت لها أختها وهى تحاول أن ترسم ابتسامة على وجهها :
ـ أما زلت منفعلة ؟
لم تجبها (عُلا) ، بل استرخت فوق مقعدها وهى تلقى برأسها على مسنده .
بينما استطردت أختها قائلة :
ـ لقد اعترانى خوف هائل عندما وصلت إلى الشاطئ .. وسمعت هذا الصراخ وتلك الجلبة بشأن طفل يغرق .. ثم تبين لى أن هذا الطفل هو (تامر) .
وأنا لا أخفى عليك أننى مازلت مرعوبة حتى الآن .. ولكن علينا أن نتخلص من تلك الحالة ونستعيد حالتنا الطبيعية .
ثم أردفت قائلة :
ـ أريد أن أقول لك شيئًا آخر .. لم يكن يحق لك أن تكافئى ذلك الرجل على ما فعله بذلك التصرف المهين .. لقد كان يستحق منا الشكر والامتنان .. وليس تحقيره على هذا النحو .
وسمعا صوتًا خلفهما يقول :

ـ وأنا من رأى (نجوى) .

والتفتت (عُلا) وراءها لتجد (كمال) زوج أختها ومعه الطفلة .

سألته (نجوى) قائلة :

ـ متى أتيت ؟

ـ منذ قليل وقد علمت بما حدث .

قالت (عُلا) :

ـ (كمال) .. أنا آسفة .

ـ لا داعى للأسف .. لابد أنها كانت لحظات عصيبة تلك التى مررت بها ، خاصة وقد رأيت ماحدث أمام عينيك ..

الله وحده هو الذى يعلم ما الذى كان يمكن أن يحدث لنا .. لو لم يتمكن ذلك الشاب من إنقاذه .

قالت (عُلا) وقد تمالكت نفسها :

ـ كان يمكن أن يكون هو أو سواه .. فهناك العديد من الرجال يجيدون السباحة .. كما أن هناك أيضًا حارس الشاطئ .. والشىء الطبيعى أن يتدخلوا لإنقاذ أى شخص يوشك على الغرق مادام ذلك فى استطاعتهم ، ولا يدخل فى نطاق المخاطرة غير العادية .

ـ لكن ذلك الشاب هو الذى أنقذ (تامر) وكان يتعين

علينا أن نشكره بدلاً من التعامل معه بمثل هذه العصبية .

قالت له (عُلا) وقد عاد إليها انفعالها :

ـ وكأننى لم أفعل ذلك .. لقد شكرته بالفعل .. بل شكرته أكثر من مرة ، وهو الذى عاملنى بجفاء وقسوة لامبرر لهما.

ـ ربما كان ذلك بسبب قلقه على الطفل .

ـ لم يكن ليقلق عليه أكثر منا .. وإنقاذه للطفل لم يكن ليعطيه الحق فى التحدث معى بمثل هذه الخشونة .

ـ على كل حال .. أعتقد أنه يتعين علىَّ أن أشكره بنفسى .. وستأتين معى لتعتذرى له .

قالت له (عُلا) معترضة :

ـ أنا ؟ .. مستحيل .. ثم إن الأمر لا يستحق كل هذا .

نظر إليها (كمال) نظرة معاتبة قائلاً :

ـ لقد أنقذ حياة ابنى .. ألا تستحق حياة ابنى أن نقبل يد الرجل الذى أنقذها ؟

هيا يا (عُلا) .. لا داعى لهذا التصلب .. إننى أشعر بالفعل بأننى مدين لهذا الرجل بالكثير على ما فعله .

وانضمت أختها إلى زوجها فى ذلك قائلة :

ـ نعم يا (عُلا) .. إن (كمال) على حق .. إننا مدينون لهذا الرجل بحياة ابننا .

قالت لهما (عُلا) وقد أحست بميل إلى فعل ذلك ، برغم معارضتها الأولى :

ـ ولكن أين هو ؟ كيف ستجده من وسط كل هؤلاء الذين يملئون الشاطئ ؟

أشارت (نجوى) إلى مظلة على بعد قدمين منهما ، كان يجلس تحتها ذلك الشاب وحيدًا ، وقد استرخى فى مقعده يتطلع إلى الشاطئ .

ـ ها هو ذا .. إنه لم يغب عن عينى منذ أن رحل .

وقال (كمال) لـ (عُلا) وهو يمسك بمرفقها :

ـ إذن هيا بنا لنشكره .

ونهضت أختها قائلة :

ـ سآتى معكما .. فقد نسيت أن أشكره بدورى فى خضم لهفتى وانزعاجى .

قال (كمال) :

ـ لا داعى لذلك .. سآتى به معى ليشاركنا تناول بعض المرطبات .. فكما أرى يبدو أنه بمفرده .

قالت (نجوى) :

ـ حسن .. سأنتظركما هنا .

ولم تدر (عُلا) سر موافقتها السريعة على مقابلة هذا الشاب مرة أخرى ، بل وتقديم الاعتذار له .. وهى

التى كانت منذ لحظات تشعر بمنتهى الحنق عليه ، وبمرارة تلك المهانة التى لم تلقها من أحد من قبل ، عندما ألقى بتلك النقود فى وجهها على مرأى من الجميع .

ربما أحست بالخجل عندما واجهها زوج أختها بحقيقة العمل الذى قام به ، وهو إنقاذه حياة الطفل على نحو كان يستحق معه تقديرًا أكثر من ذلك .

وربما أحست بأنها هى أيضًا قد بالغت فى انفعالها .. وأنها تصرفت معه على نحو غير لائق ، عندما قدمت له هذه الجنيهات التى أرادت أن تهينه بها ، فرد لها الإهانة بمثلها .

أو ربما لم يكن هذا وذاك .. بل لأنها أحست برغبة حقيقية فى أن تراه مرة أخرى .

إن قسوة الحدث الذى مر بها ، وتلك الانفعالات الشديدة التى تعرضت لها ، لم تتح لها أن تشعر بتلك اللمسة الخفية التى أحدثها هذا الرجل فى نفسها .. لمسة لم تنتبه لها .. إلا بعد أن هدأت حدة الانفعالات .. وبعد أن بدأت تستعيد سيطرتها على مشاعرها .. وعلى نفسها .

كان الشىء الغريب الذى أحسته ، وهى تسير مع

زوج أختها الآن متجهين نحوه ، أن حنقها عليه يتباعد تدريجيًا .. وأن إعجابها به وهى تراه الآن فى استرخائه فوق مقعده متطلعًا إلى البحر ، قد كشف لها عن سر تلك اللمسة الخفية التى انتبهت لها فجأة وهى جالسة بجوار أختها .

تقدم زوج أختها نحوه قائلاً :

ـ هل تسمح لى بأن أقطع عليك خلوتك هذه لبضع دقائق ؟

اعتدل الشاب فى جلسته ونظر إلى محدثه باستغراب .

بينما تابع (كمال) حديثه وهو يمد له يده مصافحًا ومعرفًا بنفسه :

ـ (كمال حمدى) .

وصافحه الشاب وهو ما زال مستغربًا ، وزاد من استغرابه رؤيته لـ (عُلا) التى كانت واقفة على مسافة قريبة منهما .

سأله الشاب قائلاً :

ـ معذرة .. ولكن هل يفترض أننى أعرفك ؟

ابتسم (كمال) قائلاً :

ـ كلا .. إنك لا تعرفنى .. لكن أنا الذى يعرفك جيدًا .. بل وأدين لك بالكثير .. فأنا والد الطفل الذى أنقذته منذ

قليل .. وقد جئت إليك لأقدم لك الشكر بنفسى لإنقاذك حياة ابنى .

قال له الشاب وقد بدا أكثر دماثة عما كان عليه من قبل :

ـ العفو يا فندم .. إننى لم أفعل سوى الواجب .. والأمر لا يستحق أى شكر .

ـ كيف تقول ذلك ؟ لقد أنقذت حياة ابنى .. وهذا يعنى أنك أنقذت أسرة كاملة من مأساة كدنا أن نتعرض لها .

واستطرد قائلاً وهو ينظر إلى المقعد الذى يجاوره :

ـ هل تسمح لى بالجلوس ؟

أجابه الشاب سريعًا :

ـ بالطبع .. تفضل يا أستاذ (كمال) .

ـ لكننى لن أجلس معك بمفردى .. فقد أتت معى أخت زوجتى كما لاحظت .

نظر الشاب إليها وقد همَ بأن يقول شيئًا .. لكن (كمال) قاطعه قائلاً :

ـ قبل أن تقول أى شىء .. يجب أن تعرف أننى فكرت فى أن آتى لأعتذر لك نيابة عنها .. لكنها رأت أن تأتى لتعتذر لك بنفسها .

قال له الشاب وقد بدا عليه الحرج :

ـ العفو يا أستاذ (كمال) .. لقد أردت أن أقول إنه أنا الذى يتعين عليه أن يعتذر للآنسة .

ونهض وهو يدعوها إلى الجلوس على مقعده ، قائلاً :

ـ تفضلى .. تفضلى يا آنسة ...

ردت عليه قائلة :

ـ (عُلا) .. (عُلا صادق) .

ابتسم الشاب وهو يدعوهما إلى الجلوس قائلاً :

ـ تفضلى يا آنسة (عُلا) .

لكنها ظلت واقفة مكانها قائلة :

ـ أرجو أن تقبل اعتذارى على ما بدر منى من تصرف منذ قليل .

بدا مختلفًا تمامًا عما كان عليه، وتلك الابتسامة الرائعة على وجهه، وعيناه النفاذتان تحدقان فيها وهو يقول :

ـ أرجو أن تصفحى أنت عما بدر منى .. فقد كان انفعالى زائدًا عن الحد .. ولكنى أحسست للحظة بأنه لو كان هذا الطفل هو ابنى ...

وارتسمت على وجهه ملامح التأثر دون أن يكمل عبارته .

أحست (عُلا) بمدى إنسانيته .. وبأنه يبدو عطوفًا للغاية .. وأدركت أن لديها سببًا حقيقيًا لكى تعجب به عدا مظهره الرجولى .

تدخل (كمال) قائلاً :

ـ على كل .. لقد انتهى الأمر بينكما الآن .. أليس كذلك ؟

سارع الشاب بالقول :

ـ بلى .. بلى .. ماذا تشربان ؟

ـ كلا .. أنت الذى ستأتى وتتناول معنا الغداء .. والآن .. فكما أعتقد أنك هنا بمفردك .

قال له الشاب بخجل :

ـ أشكركما .. ولكن ...

قاطعه (كمال) قائلاً :

ـ لكن ماذا ؟.. إن زوجتى أيضًا تريد أن تمنحها الفرصة لكى تشكرك على إنقاذ حياة (تامر) .

زاد خجله وهو يقول له :

ـ أرجوك أعفنى من كل هذا الشكر .. فقد نلت منه الكثير اليوم .

تدخلت (عُلا) هذه المرة قائلة بصوت ناعم :

ـ ولكنك تستحقه يا أستاذ ...

ردَ عليها قائلاً :

ـ (محسن) .. (محسن عبد السلام) .

قال (كمال) فى مودة :

ـ أستاذ (محسن) .. أعتقد أنك لن ترفض دعوتنا .

ـ معذرة .. ولكن بخصوص الغداء فإننى ...

قاطعه (كمال) وقد لاحظ حرجه قائلاً :

ـ إذا أردت فلنكتف ببعض المرطبات الآن.. ما رأيك ؟

ـ أعتقد أنك لا تدع لى فرصة للرفض .

ـ حسن هيًا بنا .

سارت (عُلا) إلى جواره وهى ترمقه بنظرات جانبية .

لقد بدا لها أكثر طولاً مما رأته عليه فى المرة السابقة .. وكان شعره الأسود الغزير يتهدل فوق جبينه ، فيرفعه بأصابعه من فوق جبينه من آن لآخر .

أما شاربه ، فقد بدا شديد العناية به ، وقد هذبه على نحو جيد أضفى على مظهره المزيد من الرجولة المحببة .

ولم تكن هى وحدها التى ترمقه بتلك النظرات الجانبية التى تكشف عن إعجابها الذى تولد سريعًا .

لكنها لاحظت أنه هو أيضًا كان يفعل نفس الشىء ، وتمنت لو استطاعت أن تعرف فى هذه اللحظة ما إذا كانت قد حظيت هى الأخرى بإعجابه أم لا .

وتعجبت من أفعال القدر .. فمنذ قليل كان كل منهما يكيل للآخر الاتهامات ويتعاملان معًا بمنتهى الفظاظة .

وفى وقت قصير للغاية انقلب هذا العداء إلى معاملة لطيفة وصداقة سريعة ، ثم إعجاب يختلط بمشاعر خفية فى نفس (عُلا) .

ترى ما الذى يخفيه القدر بعد ذلك ؟

* * *



٢ - الرجل الذى أحببته ..

توقفت (عُلا) عن متابعة ذكرياتها للحظات عندما لامست أمواج البحر قدميها ، مما اضطرها إلى التراجع بمقعدها بضع خطوات إلى الوراء .

وسرعان ما عاودتها الذكرى ، وساقها الحنين إلى تلك الأيام الخوالى حيث توالت لقاءاتها بـ (محسن) .. بعد أن دخل حياتها بعد هذا الحادث .. واستطاع أن يقتحم مشاعرها بسرعة فائقة .

أيام قلائل .. لكنها كانت أجمل أيام حياتها ، وذلك عندما بدا كل منهما يكتشف الأثر الذى أخذ يحدثه الآخر فى نفسه وأحاسيسه .

كان (محسن) قد استطاع أن يكتسب صداقة زوج أختها وتقدير الجميع ، وكان يتردد عليهم كثيراً .. كما كان يدعوهم إلى بعض السهرات الصيفية الرائعة .

وأحدث هذا التقارب أثره فى مضاعفة مشاعر الإعجاب المتبادلة بينهما .

ثم ما لبثت أن تحولت اللمسة الخفية إلى عاطفة قوية نمت على مر الأيام ، ولم تعد خافية على أحد

وقفت (عُلا) تتأمل زينتها فى المرآة باهتمام شديد .

ودخلت عليها أختها الحجرة وهى على هذه الحالة ، فوقفت ترقبها وفى عينيها ابتسامة ماكرة .

ثم ما لبثت أن قالت :

- لست بحاجة إلى كل هذا الجهد والتأنق لكى تسلبى الرجل عقله .. فمن الواضح أنك قد حققت ذلك خلال فترة قصيرة .

والتفتت إليها (عُلا) وقد فوجئت بما قالته أختها ، لتعلن عن احتجاجها قائلة :

- (نجوى) .. ما هذا الذى تقولينه ؟

وضحكت (نجوى) قائلة :

- أقول إن (محسن) مدله بحبك .

قالت لها (عُلا) غاضبة :

- يبدو أن تفكيرك قد ذهب إلى بعيد .. وتصورت أشياء خيالية ، فلا يوجد بينى وبين (محسن) سوى الصداقة .

نظرت إليها أختها بخبث قائلة :

- أتحاولين خداعى أم خداع نفسك ؟ أتظنين أننى لم ألحظ نظرات الإعجاب المتبادلة بينكما ؟.. وأرى ذلك

القلق وتلك اللهفة فى عينيك كلما واعدنا بالحضور .

ثم ما طرأ عليك من تغيير واهتمام زائد بزينتك .. ووقوفك أمام المرآة لفترات طويلة .

إن لى عينين أرى بهما يا أختى العزيزة .. ونحن النساء لا يخفى علينا مغزى تلك الأشياء .

أطرقت (عُلا) قائلة بخجل :

ـ إننى لا أنكر أننى معجبة به .. ولكن ليس إلى هذا الحد الذى تحاولين أن تصوريه .

ـ أما أنا فأرى أن ما بينكما قد تخطى مرحلة الإعجاب .. وأن كلاً منكما قد أصبح يكن عاطفة قوية تجاه الآخر .

ولست وحدى التى لاحظت ذلك.. بل لاحظه (كمال) أيضًا .

تطلعت إليها (عُلا) بارتباك قائلة :

ـ (كمال) ؟.. هل قال لك (كمال) شيئًا ؟

ابتسمت (نجوى) قائلة :

ـ نعم .. قال إن (محسن) يبدو إنسانًا رائعًا من كل الوجوه .. فهو شاب ناجح فى عمله ومن أسرة ثرية وطيبة .. ومما يبدو لنا فإنه يتميز بأخلاق حميدة .. وصفات تتمناها أية فتاة .. كما قال أيضًا إنه يتمنى لو كان هذا الشاب من نصيبك .

وبرغم أن العبارة الأخيرة قد لامست أوتار قلبها .. وبدت كحلم جميل يخاطب عقلها ونفسها ، إلا أنها استمرت فى احتجاجها الظاهرى قائلة :

ـ يبدو أنكما لم تجدا ما تشغلان به وقتكما سوى تلك الافتراضات السخيفة ..

قالت لها (نجوى) بحنان :

ـ ليتها تتحقق يا (عُلا) !

• واقتربت منها لتمسك ساعديها قائلة :

ـ إننى أختك يا (عُلا) .. وأتمنى لك السعادة على النحو الذى أرجوه لنفسى .. أتظنين أننى لست قلقة عليك بسبب إقامتك وحدك هكذا فى بيت والدينا ، بعد أن رحلا عن الدنيا دون وجود أخ أو أخت أخرى لنا ، تستعينين بهما على مجابهة هذه الوحدة والتصدى لصعاب الحياة ؟

قالت لها (عُلا) وهى ترسم على وجهها ابتسامة مشجعة :

ـ قلت لك أكثر من مرة لا تقلقى بشأنى .. فأنا فتاة ناضجة ولست طفلة غريرة .. وأعرف جيدًا كيف أدبر أمورى بنفسى .

ـ بل أنت دائمًا إنسانة عنيدة منذ الصغر .. لقد

عرضت عليك أن تسافرى معنا إلى (السعودية) ، فرفضت .. وطلبت منك أن تعيشى مع عمك الذى رحب كثيرًا بذلك وبذل الجهد لإقناعك به ، فرفضت وفضلت بدلاً من ذلك أن تقيمى بمفردك .

ـ أكنت تريدين منى أن أترك عملى ومدرستى ، لأسافر معكما إلى السعودية ؟ أو أقيم مع عمى فى (أسيوط) ؟

ـ ما الذى ستجنينه من هذه المدرسة ، ومن ذلك العمل المتواضع ؟ كنا نستطيع أن ندبر لك عملاً جيدًا خلال فترة إقامتنا فى (السعودية) ، تأخذين منه أضعاف أضعاف الراتب الذى تحصلين عليه هنا ..

ـ من فضلك لا تصفى عملى بالتواضع .. فأنت تعرفين أننى أحترم عملى جيدًا ، بل وأقدسه .. ثم إننى لا أفهم فى أى عمل آخر سوى التدريس .

ـ التدريس للأطفال المتخلفين !

ـ إن هؤلاء المتخلفين ـ كما تصفينهم ـ هم مجموعة من الأطفال الأبرياء قست عليهم الحياة .. ويحتاجون إلى حماية ورعاية مضاعفة حتى يمكنهم التعامل مع هذا المجتمع والتكيف معه مرة أخرى .

ـ وهل أنت مبعوثة العناية الإلهية من أجل تحقيق ذلك ؟

ـ لقد درست وتعلمت وحصلت على الماجستير من أجل ذلك .. وهؤلاء الأطفال هم عملى الذى أحبه .. والذى حصلت على شهاداتى من أجله .

ـ إن التعامل مع هؤلاء الأطفال يكلفك جهدًا كبيرًا يا (عُلا) .. لا يوازى ما تحصلين عليه من أجر مقابله .

ـ الأجر .. والمال .. ليس كل شىء فى الحياة يا (نجوى) .

ـ آه.. ها نحن أولاء قد عدنا للمثاليات والفلسفة مرة أخرى.. المهم دعينا من ذلك.. ليس هذا هو موضوعنا الآن .

إننى أتكلم عن هذا الشاب الذى يبدو أنه قد أعجب بك وأحبك .. ماذا قررت بشأنه ؟

ونظرت إليها (عُلا) باستغراب قائلة :

ـ ماذا قررت بشأنه ؟.. وماذا تريديننى أن أقرر بشأنه ؟

ـ مادام يحبك .. ومادمت كما أرى تبادلينه ذلك الحب .. ومادام يتمتع بكل هذه الصفات التى تجعل منه زوجًا مثاليًا تتمناه أية فتاة .. فالقرار الذى يجب اتخاذه إذن هو الزواج .

وابتسمت (عُلا) وقد امتزجت ابتسامتها بالدهشة قائلة :

ـ الزواج .. هكذا مرة واحدة ؟.. افترضت أنه أحبنى وأحببته ، وأن علىّ أن أجعله يتزوجنى .

ـ ولم لا ؟ كل الفتيات يفعلن ذلك .

ـ (نجـوى) .. من فضلك اذهبى لتعـدى العشـاء .. ودعك من هذه الترهات التى فى رأسك .

ـ اسمعينى أنت ودعك من هذا التظاهر الذى لاجدوى منه.. إنك متعلقة بهـذا الشـاب وهـذا مـاأراه بوضـوح.. كمـا أرى مـدى تعلقـه بـك.. إذن فلمـاذا إضاعـة الوقـت؟ إنها فرصتك التـى أتتـك.. والفرصـة التـى تمنيتهـا لكـى أطمئن عليك .

أن تكونى زوجة لشاب وسيم ومرموق ومن أسرة .. مـاذا تريـد الفتـاة أكـثر مـن ذلـك .. خاصـة إذا كـانت عاطفتها قوية نحو هذا الشاب ؟!

ـ لست من صيادى الفرص يا (نجوى) .

ـ يا أختى العزيزة .. دعك من هذه العبارات الرنانة .. الحياة فرص .. وفرصتك قد جـاءتك .. ثـم مـا المشكلة مادام هذا الشاب يلقى قبولاً منك ؟

ـ إننى لا أفكر حاليًا فى الزواج .

قالت لها أختها متهكمة :

ـ آه .. الكلمة التقليدية التى تقولها كل فتاة تريـد أن تعزز نفسها .

ـ ثم من أدراك أنه يرغب فى الـزواج منـى؟.. أليس مـن المحتمـل أن الأمـر لايتعـدى بالنسـبة لـه سـوى الإعجاب فقط ؟

ـ عليك إذن أن تطوّرى هذا الإعجاب إلى طلب رسمى بالزواج منك خلال الأيام القادمة .

ـ ولماذا هذا التعجل ؟

ـ لأننا سنسافر من (الإسكندرية) رأسًا عائدين إلى (السعودية) بعد عشرة أيام من الآن .. وربما استطعنا تأجيل السفر أسـبوعًا آخر لـو تـمّ هـذا الأمـر .. عندهـا نستطيع أن نتصل بعمك .. ونقوم بترتيب كل شىء ..

قاطعتها (عُـلا) قائلة :

ـ إنك تبدين وكأنك قد رتبت لكل شـىء .. ألا يحتمـل أنه غير مستعد للزواج حاليًا ؟

ـ ولماذا لا يكون مستعدًا لـلزواج ؟ شـاب مثلـه .. ثرى .. وله عمل ناجح .. لن تعترضه صعاب فى سبيل تأسيس منزل .

ـ إننى لا أتحدث عن الاستعداد المادى .. بل الاستعداد النفسى .

ـ فى هذه الحالة يكون شابًا عابثًا ومستهترًا .. وينبغى أن تنهى صلتك به عند هذا الحد .

لكنها بادرت لتردف قائلة :

- لكنى لا أرى (محسن) من هذا النوع من الرجال .

- إن الأمر بحاجة منك إلى بعض الذكاء الأنثوى فقط .. ودفعه للتعجيل بمثل هذا الأمر .. ومن ناحيتى سأجعل (كمال) يلمح له بهذا .

قالت (عُلا) سريعًا وقد انتابها الغضب :

- إياك أن تفعلى ذلك !

وفى تلك اللحظة انبعث صوت رنين جرس الشقة ، فقالت لها (نجوى) :

- جرس الباب.. لابد أنه (كمال) قد أتى ومعه (محسن) .. أكملى زينتك حتى أفتح لهما.

أحست (عُلا) بارتباك وسارعت بالعودة إلى المرآة لتسوى شعرها .. وتمشطه .

وما لبثت أن توقفت قليلاً وقد سرحت بأفكارها فيما قالته لها أختها منذ لحظات ..

حقًا إن الفترة القصيرة التى عرفت فيها (محسن) قد ولدت إعجابًا قويًا .. سرعان ما تحول إلى حب .. وكانت تحس دائمًا أنه يبادلها عاطفتها نحوه .

بل أحست أن القدر قد ربط بينهما بشكل ما .. منذ ذلك اللقاء الأول بينهما على الشاطئ .. وتلك اللمسة الخفية التى لامست أعماقها .

لكنها لم تجمح بخيالها إلى التفكير فى الزواج منه .

وعادت لتكرر هذه الكلمة فى نفسها قائلة :

- الزواج منه ؟.. إن هذا أمر يبدو بعيد المنال .

لكنها عادت لتحاور نفسها .. ولكن لماذا ؟ ألم تعترف لنفسها بأنها تحبه ؟ ألم تشعر بصدى هذا الحب من ناحيته ؟.. إذن فالوضع الطبيعى أن تفكر فى الزواج من الرجل الوحيد الذى تفتح له قلبها .

وعادت لتشرد بأفكارها .. ربما كانت واهمة بشأن عاطفته نحوها .. وربما كان ما قالته لأختها حقيقيًا ، وأن الأمر لا يتعدى حدود الإعجاب ..

ولكن لا .. لا يمكن أن تكون واهمة بشأن إحساسه نحوها .. فالمرأة إذا أحبت يكون لديها (رادار) لا يخطئ رصد مشاعر من أحبته .. وهى تتميز فى ذلك كثيرًا عن الرجل .

وهذا البريق الذى رأته فى عينيه لا يمكن إلا أن يكون ومضات حب حقيقى ..

لقد خرجا معًا وتحدثا فى أمور كثيرة .. بل وبدا أنه يغازلها فى بعض الأحيان .. لكن لم يجر بينهما حديث مباشر ، يكشف عما فى مكنونات كل منهما تجاه الآخر أو حتى يعطى تلميحًا بذلك .

لكن عيونهما قالت الكثير وأوحت بالكثير .

وحتى لو كان ما يحمله لها (محسن) لا يزيد على حد الإعجاب .. فلماذا لا تستثمر ذلك ؟

وابتسمت لنفسها فى المرآة قائلة :

- يا لها من طريقة للتفكير !.. هأنذا أفكر بنفس طريقة أختى .

وهزت كتفيها قائلة :

- ولكن لِمَ لا ؟ أليس من المشروع لها أن تفكر وتعمل على الزواج من الرجل الذى أحبته ؟!

* * *



٣ - مهلاً يا قلبى ..

كانت جالسة فى الشرفة بعد انتهاء العشاء .. عندما وجدته يقترب منها قائلاً :

- إن مشهد البحر من هنا يستحق منك أن تهرعى إلى هذا المكان .

التفتت إليه قائلة :

- إننى أعشق الهدوء الذى يغلف المكان هنا .

- أرجو ألا أكون قد أفسدت عليك هذا الهدوء .. إذا كنت ترغبين فى العزلة ..

ابتسمت له قائلة :

- يسعدنى أن تشاركنى مكانى المفضل .

- أشكرك لأنك أشركتنى فى شىء تحبينه .

- هل تحب مثل هذا الهدوء وتلك السكينة ؟ أم أنك من هواة الأجواء الصاخبة ؟

- برغم أننى من رجال الأعمال وعملى يفرض علىّ حركة دائبة، وبعض المجاملات التى تقتضى التواجد فى مثل هذا الجو الصاخب الذى تتحدثين عنه.. إلا أننى مثلك أعشق مثل تلك الأماكن الهادئة والتى توحى بالرومانسيات .

ابتسمت له قائلة :
ـ حقًا ؟.. أم أعد هذه مجاملة ؟
ـ ألا ترين أننى قد هربت من أعباء العمل والتزاماته ، برغم أهمية تواجدى فى مكتبى فى مثل هذا الوقت من العام ، وفررت إلى الإسكندرية بمفردى لأنشد مثل هذا المناخ الهادئ .. دون رفيق .
ـ هل أفهم من هذا أنك هنا بلا رفيق أو صديق ؟
ـ نعم .
ـ ولا رفيقة ؟
ـ ماذا تقصدين ؟
ـ لا أعتقد أن حياة رجل الأعمال تخلو من الرفيقات والصديقات .
ـ هذه فكرة خاطئة ومبالغ فيها .
ـ إذن ...
قاطعها وقد فهم مغزى استفسارها قائلاً :
ـ لا ارتباطات عاطفية .
ـ ما هى طبيعة عملك ؟
ـ إننى أتولى تصدير بعض المنتجات الزراعية المصرية ، وأعمل على فتح أسواق لها فى الخارج .
ـ إذن فأنت تسافر كثيرًا .

ـ سأسافر بعد أيام إلى (بروكسل) .
وأزعجتها فكرة سفره المفاجئ هذا .. فقالت له :
ـ هل ستغيب هناك كثيراً ؟
ـ أسبوع أو عشرة أيام على الأكثر .
واستطرد قائلا :
ـ وأنت ؟.. هل تعرفين أننى لم أعرف حتى الآن ما هو عملك ؟
قالت له وهى مازالت تحت تأثير انزعاجها لسفره :
ـ إننى أعمل مدرّسة .
ـ إنها مهنة تحتاج إلى الكثير من المواهب الشخصية .
قالت له ساهمة :
ـ خاصة فيما يتعلق بما أدرسه .
وأردفت قائلة :
ـ هل ستعود من (بروكسل) إلى (الإسكندرية) ؟
ـ بل إلى (القاهرة) .
ـ كان يمكن أن تقضى إجازتك فى (بروكسل) .
ـ ولكنى من عشاق (الإسكندرية) .
وابتسم قائلا :
ـ على فكرة .. لقد كان الطعام رائعا .. إننى علمت من زوجة أخيك أنك قد توليت إعداده بنفسك .. وهذا يدل على أنك سيدة منزل من الطراز الأول .

ـ أشكرك .. على هذه المجاملة اللطيفة .

ـ لكنها ليست مجاملة .. لماذا تصورين كل ما أقوله على أنه مجاملة ؟ ألم تلحظى أنه خلال الأيام الماضية وجدنا الكثير من الأشياء المشتركة بيننا ؟

ـ أشياء مثل ماذا ؟

ـ الميل إلى الهدوء والسكينة مثلاً .

ضحكت (عُلا) قائلة :

ـ مع أن لقاءنا الأول كان صاخبًا .

ـ لقد انفعلت بسبب الطفل .

ـ كان انفعالك قاسيًا .

ـ دعينا ننس ذلك .

وأحست (عُلا) بالحرج لانفرادهما معًا كل هذه المدة دون مشاركة الآخرين .

فقالت له :

ـ أين ذهب (كمال) ؟ سأذهب لأرى إن كانت (نجوى) تحتاج إلىّ فى شىء وأرسل لك (كمال) .

لكنه استوقفها قائلاً وهو يمسك بذراعها :

ـ لا داعى لذلك .. ألا ترين أنهما يتعمدان أن يتيحا لنا بعض الوقت لكى ننفرد بالجلوس معًا ؟

استفزتها عبارته .. فقالت غاضبة :

ـ ماذا تعنى بذلك ؟

ـ إنهما يريان انجذاب كل منا نحو الآخر .. ويسعيان للتقريب بيننا .

ـ لكننى لم أقل إننى منجذبة إليك .

ـ لست بحاجة لأن تقولى ذلك .. فهذا شىء واضح تمامًا .

قالت له (عُلا) وقد أزعجها أن يقول ذلك :

ـ يا لك من مغرور !

ـ ويا لك من متكبرة !

ـ هل سنعود إلى الصدام من جديد ؟

ـ ولماذا الصدام ؟ لماذا لا يعترف كل منا بحقيقة مشاعره تجاه الآخر دون مواراة ؟

ـ ربما أكون قد أعجبت بك ..

قاطعها قائلاً :

ـ بل قولى إنك قد أحببتنى .

قالت له (عُلا) بدلال أنثوى :

ـ لست مسئولة عما يصوره لك خيالك .

ـ أما أنا فأعرف أن قلبى لن يكذبنى .

ـ (محسن) .. إنك تتجاوز الحدود اليوم .

ـ ليست هناك حدود أمام الحب .

ـ ما الذى ألمّ بك ليبدو حديثك معى مختلفًا هكذا اليوم ؟

ـ لقد اكتشفت أنه لا جدوى من إضاعة الوقت فى انتظار أن يعترف كل منا للآخر بحقيقة تطور مشاعره .

ـ أتظن أننى أحبك ؟

ـ بل أثق فى أنك تحبيننى .. كما أحبك .

ـ وما الذى يجعلك واثقًا هكذا ؟

ـ إحساسى .

قالت له مداعبة :

ـ حسن .. اعرف إذن أن إحساسك خاطئ .

قال لها بجدية :

ـ بل أنت التى تبالغين فى إخفاء حقيقة مشاعرك .. إنه كبرياء المرأة .. وطبيعتها التى تعمد إلى إخفاء مشاعرها حتى تنال اعترافًا كاملاً من الرجل بحبه لها .

حسن .. إننى أعترف لك اعترافا كاملاً بأننى قد أحببتك .

وجعلتها عبارتـه الأخيرة ترتجف من فرط سعادتها .. وكيف لا تسعد وهى تجد الإنسان الوحيد الذى أحبته يعترف لها بحبه ؟ بل ويظهر لها تدلهًا فى حبها ..

كيف لا تسعد وهى ترى ما كانت تعده حلمًا منذ قليل ، وقد تحقق لها فى لحظات ؟ كانت حمرة قانية قد صبغت وجنتيها .. أحست بها عندما تسلل ذلك الدفء إليهما .

وحمدت الله أن الإضاءة فى الشرفة كانت خافتة حتى لا يلحظ (محسن) ما طرأ على وجهها من انفعالات .

ولم تدر أكان هذا الاحمرار الذى صبغ وجنتيها سببه الخجل أم دفء مشاعرها ؟

كانت ساهمة ولا تدرى ماذا تقول له ؟

فدنا منها هامسًا وهو يقول :

ـ (عُلا) .. لماذا لا تقولى شيئًا ؟

قالت له بنفس النبرة الهامسة :

ـ ما الذى تريد منى أن أقوله ؟

ـ قولى إننى صادق فى إحساسى تجاه مشاعرك .. أو قولى إن قلبى قد كذبنى فيما أحسسته .

ـ ألم تقل إنك واثق من إحساسك ؟

ـ لم أعد كذلك الآن .. فصمتك يحيرنى .

ـ وما الذى تتوقعه منى ؟ هل تريد منى أن أهتف لك بأننى أحبك ؟

ـ الحب لايحتاج هتافًا .. إنها كلمة صغيرة تستطيعين أن تهمسى بها فتنقل لى حقيقة إحساسك .

ـ وكأنك تريد أن تجرى هذه الكلمة على لسانى على الرغم منى .

قال لها بلهجة حاسمة :

ـ لا يا (عُلا) .. ليس على الرغم منك .. إننى لن أفرض نفسى ومشاعرى عليك .. ولكن إذا لم تصرحى لى بحقيقة شعورك نحوى ، أو كان ما ظننته بشأن حبك لى خاطئا .. فسيكون هذا هو لقاؤنا الأخير .

قالت له مداعبة :

ـ إنك رجل أعمال .. لكنك تتصرف بحماقة شاب مراهق فى المرحلة الثانوية ..

ـ هل ستعودين إلى سلاطة اللسان هذه مرة أخرى ؟

ـ إننى لا أسمح لك بأن تصفنى بسلاطة اللسان .

ـ وأنا لا أسمح لك بأن تصفينى بالحماقة !.

ونظر كل منهما للآخر وهما يتأملان ذلك الانفعال الذى ارتسم على وجهيهما .. ثم ما لبثا أن انفجرا بالضحك .

وقالت (عُلا) :

ـ ألا ترى أننا نتصرف كالأطفال الصغار ؟

ـ (عُلا) .. لا تهربى من السؤال .

ـ كيف لم تعرف الاجابة بعد ؟. برغم كل ما قلته لك .. أين ذكاؤك يا رجل الأعمال .

ـ هل يعنى هذا ...... ؟

أكملت (عُلا) قائلة وقد تبدلت قسمات وجهها :

ـ أن أحساسك لم يخطئ يا (محسن) .

صاح قائلا :

ـ إذن .. فأنت تحبيننى .

تلفتت حولها فى ارتباك وهى تهمس له قائلة :

ـ اخفض صوتك .

ـ لماذا ؟ إنى أريد أن يسمع الجميع بذلك .

ابتسمت (عُلا) قائلة :

ـ ألا تخشى المخاطرة بإعلان ذلك للجميع .

ـ ما أجمل المخاطرة فى الحب !

ثم أردف قائلا بلهجة حنون :

ـ الآن أستطيع أن أبوح لك بكل ما فى قلبى .. (عُلا) .. منذ أن رأيتك وأنا أشعر أن هناك شيئا مّا ، يربط بيننا .

ـ لقد كان هذا هو نفس إحساسى .

ـ والآن أنا أدرك أكثر من أى وقت مضى أنك الزوجة التى أتمناها ..

تضاعفت فرحتها .. فلم تكن تتمنى أكثر من هذا .. لقد اعترف كل منهما للآخر بحبه .. وهاهوذا الرجل الذى أحبته يعلنها برغبته فى الزواج منها .. وتذكرت ما قالته لها أختها . وآمالها فى أن تتزوج من (محسن) .

ولكن لا .. ليس بهذه السرعة .. وهذا الاندفاع .

لن تستغل حماسه العاطفى لدفعه إلى الزواج منها ، دون أن يكون لديه وقت كاف ، يمكنه من التأكد من حقيقة مشاعره .. ومن ثقته بأنه يرغب فيها كزوجة .

إنها واثقة من حقيقة مشاعرها .. ومن أن قلبها لم يتفتح إلا لهذا الرجل .. كما أنها تثق بصدق مشاعره نحوها .

ولكن ربما كان هذا التقارب الذى حدث بينهما خلال الأيام الماضية .. ووجدته فى الإسكندرية .. جعلاه يحكم على أحاسيسه بشىء من التسرع .

وربما كان من النوع الذى يندفع وراء عواطف فوارة ، لا تلبث أن تخمد بعد فترة من الوقت .. ربما كان هذا ما جعله يندفع فى التعبير عن مشاعره على هذا النحو .. ثم يفاجئها برغبته فى الزواج منها ..

ولكن ..لا.. إنها تشعر بأن (محسن) ليس من ذلك النوع .

إذن فلماذا الانتظار؟.. ولماذا هذه المشاعر المعقدة ؟

لمَ لا تدفع بمشاعره هذه حتى نهايتها .. وتحقق كل أحلامها هذه الليلة ؟

لكنها عادت لتقول لنفسها :

ـ كلاً .. لابد لنا من مهلة من الوقت .. حتى تكون اختياراتنا صحيحة .. ويثبت كل منا للآخر أنه يتمسك به بقوة ويصر على اختياره .

فأنا لست صيادة فرص كما تريد لى (نجوى) أن أكون .

سألها قائلاً :

ـ لماذا شردت هكذا ؟

تخلصت من شرودها وهى تبتسم قائلة :

ـ بعد كل ما قلناه هذه الليلة .. ألا تريد لى أن أشرد ؟

ـ لكنك لم تردّى علىّ بعد .

ـ أرد عليك فى أى شأن ؟

قال لها مستنكرًا :

ـ (عُلا) .. ألم تسمعينى ؟ إننى أريد أن أتزوجك .. قولى نعم .. فأحدث أختك وزوجها بهذا الشأن الآن .

ابتسمت قائلة :

ـ أنت أكثر رجل متسرع رأيته فى العالم .

ـ هذا ليس ردًا .

ـ ماذا تريد منى أن أقول ؟ (محسن) لقد صرح كل منا للآخر الآن بأشياء ، ربما كانت تحتاج لوقت طويل قبل الإعلان عنها ..

ـ ربما كان هذا صحيحًا لشخصين مازالا يريدان اختبار عواطفهما .

أما نحن فلم نعد بحاجة لهذا الاختبار .. أليس كذلك ؟

ـ إننى لا أحبذ التسرع فى مثل هذه الأمور .. وأرى

أن علينا أن نتمهل ونمنح أنفسنا بعض الوقت قبل أن نتطرق لموضوع الزواج .

- أما أنا فلا أحبذ الإبطاء .. وأرى أن خير البر عاجله .. خاصة إذا كان وقتى ووقت أختك وزوجها محدودًا .

- تتحدث عن الأمر وكأنه صفقة من صفقاتك .. وليس زواجًا وارتباطًا أبديًا بين اثنين يجمعهما الحب .

- إننى واثق من حبى لك .

- هناك أشياء أخرى يتعين عليك أن تعرفها عنى وأن أعرفها عنك .. ثم يجب أن يكون حبك هذا نابعًا من ثقة راسخة .. وليس من اندفاع عاطفى حماسى بأنك تريدنى كزوجة لك .

- (عُلا) .. إننى أريدك ..

وقاطعته بإشارة من يدها قائلة :

- أرجوك يا (محسن) .. إن كل ما أطلبه هو مهلة من الوقت .

قال لها مستسلمًا :

- حسن .. ولكن مهلة قصيرة .. أسبوع واحد فقط .. أريد أن أسافر وأنا مطمئن إلى أنك قد أصبحت زوجتى .

* * *

٤ - ضربة القدر ..

غادرت (عُلا) مكانها تحت المظلة .. وأخذت تسير فوق رمال الشاطئ ، وقد ندت عنها تنهيدة عميقة ، وهى مستمرة فى متابعة ذكرياتها عن الصيف الماضى ..

لقد أثبتت الأيام التالية لاعتراف كل منهما للآخر بحبه فى تلك الليلة ، أن حبهما يزداد رسوخًا وعمقًا .. وأنه لم يكن أبدًا نتيجة اندفاع عاطفى ..

إنها هى نفسها قد اندهشت من أن يكون لتلك الكلمة السحرية (الحب) ، والتى تحمل الكثير من المعانى ، كل ذلك التأثير القوى والغريب فى حياة المرء .

فطالما سمعت وقرأت الكثير من المعانى والألفاظ ، التى تتحدث عن الحب وتصفه ، وتروى الكثير عن أعاجيبه ..

وكانت برغم طبيعتها التى تميل إلى الرومانسية ، تحاول أن تنبه نفسها دائمًا إلى أن الأمر لايعدو أن يكون جموحًا لخيال المؤلف .. ومبالغة فى التعبير عن هذه العاطفة .

لكنها تأكدت بنفسها أنها كانت مخطئة فى ظنونها تلك خلال تلك الفترة .. فأيام قلائل بدلت حياتها تمامًا ..

وأضفت عليها سعادة لم تجربها من قبل .. لقد أيقنت خلال هذه الأيام أى سحر يكمن فى تلك الكلمة .. وأى تأثير قوى تحدثه فى النفس البشرية .

لقد أحبت (محسن) بكل جوارحها .. وتركت العنان لمشاعرها كى تهدر نحوه بكل قوة واندفاع .

أصبح وجوده شيئًا هامًّا للغاية فى حياتها .. شيئًا لايمكنها الاستغناء عنه ، كالماء والهواء .

حقًا .. لقد عرفت معه الحب بأسمى معانيه .. وأوشك الزواج أن يصبح حقيقة واقعة .

لقد أحست (عُلا) أن كل أحلامها الرائعة ، على وشك أن تتحقق ، وأن الجنة التى ستجمعها بـ (محسن) لم تعد بعيدة المنال .

لكن القدر كان يرسم لها طريقًا آخر .. نفس القدر الذى جمعها بـ (محسن) .. وأذاقها طعم السعادة .. هو الذى دبر فراقهما ليذيقها مرارة هذا الفراق وقسوته التى عصفت بحياتها .. وزلزلت كيانها .

كان ذلك اليوم التعيس الذى ودعت فيه (محسن) على وعد بلقاء فى اليوم التالى .. وكانت فى طريقها إلى المنزل الصيفى الذى استأجره زوج أختها وهى مفعمة بالسعادة .. تكاد أن تطير فوق رمال الشاطئ .

فقد قررت أن تفاجئ (محسن) غدًا بموافقتها على الزواج منه .. وأن تقول له إنه إذا كان يرغب فى التحدث إلى أختها وزوجها بهذا الشأن ، ليلة الغد .. فلا مانع لديها .

كانت تبدو فى أحسن حالاتها .. فهذا هو اليوم الذى تمنته بالفعل ، ربما حتى دون أن تدرى منذ أن التقت بـ (محسن) .

وأخذت تتخيل الطريقة التى ستخبر بها (محسن) بذلك .. ووقع موافقتها عليه .. ثم امتد بها الخيال إلى الزفاف ، والمنزل الجميل الذى سيضمهما ..

وعندما وصلت إلى المنزل أخذت تثب فوق درجات السلم الصغير وكأنها طفلة سعيدة .

لكن عندما لامست أصابعها باب الشقة وهى تطرق عليه بمرح .. كان قدرها يستعد لسلبها هذه السعادة .. وكأنه يعلن بذلك أنها قد نالت نصيبها منها عند هذا الحد .. وأن عليها الآن أن تسدد الثمن .

أحست (عُلا) فجأة بآلام شديدة فى صدرها .. وخفقان غير عادى .

تصلبت أصابعها فوق الباب الخشبى وبدت عاجزة حتى عن النطق .

وبذلت جهدًا كبيرًا لكن تتشبث بالهلب وهى تلهث .
ثم لم تلبث أن تهاوت فوق درجات السلم الصغيرة وقد تصبب منها العرق غزيرًا .. وعندما فتحت أختها الباب وجدتها على هذه الحالة المريعة فأصيبت بالهلع وهى تصرخ قائلة :
ـ (غلا) .. (غلا) .. ماذا بك ؟
* * *
اندفع (كمال) فى طرقات المستشفى ليتوقف أمام الطبيب قائلاً :
ـ دكتور (أحمد) .. هل فحصتها ؟
أطلق الطبيب زفرة قصيرة قائلاً :
ـ نعم .. لقد أجرينا الفحوصات اللازمة .
ـ وما الذى تكشف لك ؟
ربت الطبيب على كتفه قائلاً :
ـ اطمئن .. إنها بخير .
ثم واصل طريقه .. لكن (كمال) لحق به قائلاً :
ـ وجهك ينبئ بعكس ذلك .
قال الطبيب :
ـ ماذا جرى لك يا(كمال) ؟.. لقد قلت لك إن حالتها مطمئنة .

ـ (أحمد) .. أنت هنا لست مجرد طبيب .. بل صديق .. أرجوك أخبرنى بحقيقة الأمر .
وتوقف الدكتور (أحمد) عن متابعة طريقه ، ثم استدار ليواجه (كمال) قائلا :
ـ هناك اشتباه فى أن يكون لديها ورم سرطانى فى صدرها .
هتف (كمال) قائلاً :
ـ ورم سرطانى ؟.. هذا غير معقول !.
ـ لقد كشفت الأشعة عن ذلك .. والمظهر الخارجى للورم ينبئ بذلك .. لكننا لا نستطيع أن نحكم على طبيعة الورم قبل أخذ عينة منه وتحليله .
قال (كمال) وعلى وجهه ملامح الأسى :
ـ هل هناك احتمال.أن يكون الورم حميدًا ؟
ـ نعم .. برغم الظواهر الخارجية .. ففى مثل هذه الحالة هناك نسبة لاتقل عن ثلاثين فى المائة أن يكون الورم حميدًا ..
لن نستطيع أن نحكم على ذلك قبل أن نطلع على نتيجة تحليل العينة التى سنحصل عليها من هذا الورم ..
ـ ومتى سيتم فحص هذه العينة ؟
ـ غدًا .. كلما بكرنا بتحديد طبيعة الورم كلما كان

هذا أفضل .. وعلى كل حال فحتى لو كان الورم سرطانيًا .. فإننا يمكننا التعامل معه .. فيبدو أنه فى مراحله المبكرة ، وهذا يجعل التعامل أسهل .. خاصة إذا ما كان هذا التعامل أسرع .

وأردف قائلاً :

ـ لا داعى إذن .. لهذا الانزعاج الذى يبدو على وجهك .

حاول (كمال) أن يمحو آثار ذلك الخبر السيئ عن وجهه بابتسامة مصطنعة وهو يدخل إلى حجرة (عُلا) فى المستشفى قائلاً :

ـ لقد أقلقتنا عليك بلا داع .. فقد أخبرنى الدكتور (أحمد) أن الأمر يتعلق ببعض اضطرابات فى الكبد .. ولن تستغرق وقتًا طويلاً للعلاج .

ابتسمت (عُلا) فى مرارة وهى تقول لـ(نجوى) :

ـ من حسن حظك أن لك زوجًا لا يحسن الكذب .. ويمكن كشف أمره بسهولة ..

واقترب منها معاتبًا وهو يقول :

ـ إذن فأنت تتهميننى بالكذب ..

قالت له (عُلا) بجدية :

ـ (كمال) .. الألم فى صدرى .. وكل التحليلات

والأشعة أجريت على صدرى .. وليس للأمر علاقة بالكبد .. فلماذا لا تكون صريحًا وتخبرنى بالحقيقة ؟

نظرت إليه أختها بانزعاج قائلة :

ـ (كمال) .. هل يمكننا أن نتحدث فى الخارج بمفردنا ؟

صاحت (عُلا) قائلة :

ـ كلا .. أريد أن أعرف الحقيقة مهما كانت قسوتها .. إننى سأعلم بها آجلاً أم عاجلاً .. أليس كذلك ؟ إذن فما من داع لأن تخفيها .

ـ ولكنى بحاجة لأن أستفسر منه عن ...

وقاطعها زوجها وقد أطرق برأسه وهو ينظر إلى الفراش الذى تجلس عليه (عُلا) قائلاً :

ـ إن (عُلا) محقّة فيما تقوله يا (نجوى) .. إنها ستعلم بالأمر عاجلاً أم آجلاً .. فلا جدوى من إخفائه الآن .. بل من الأفضل أن تكون مستعدة له .

وخفض بصره قائلاً :

ـ هناك ورم فى الصدر .

صاحت (نجوى) قائلة :

ـ ما معنى هذا ؟

قالت لها (عُلا) بصوت مفعم بالألم :

- معناه .. أننى قد أصبت بالداء الخبيث الذى ماتت به أمنا .

التفتت إليها (نجوى) مستنكرة وهى تقول :

- غير معقول !.. لا تقولى هذا .. إنه مرض غير وراثى .

- لقد كنت أشعر بهذا .. منذ أن أجريت لى كل هذه الأشعات والتحاليل .

نظرت (نجوى) إلى زوجها وكأنها تستنجد به قائلة :

- هل قال لك إنه ورم خبيث ؟

- إنهم سينتظرون نتيجة التحليل قبل أن يقرروا أى شىء .

قالت (عُلا) بيأس :

- لا تتعبى نفسك فى البحث عن أمل كاذب .. إنه نفس المرض ونفس الأعراض التى مرت بها أمنا .

قال (كمال) :

- لايمكنك أن تجزمى بذلك .. سنعرف كل شىء بعد تحليل العينة التى تم أخذها من الورم .. وحتى لو كان الأمر على النحو الذى تتحدثين عنه فقد أخبرنى الدكتور (أحمد) أنه يمكن التعامل معه واستئصاله دون مضاعفات ، لأن الورم فى مرحلة مبكرة ..

- إننى سأرضى بقضاء اللّه وقدره .. هناك شىء واحد أريد منك أن تفعله لأجلى .

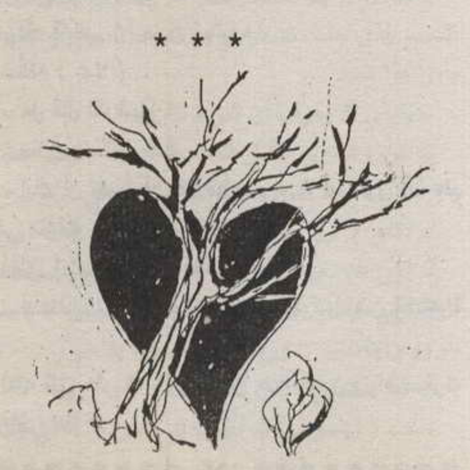
- وما هو ؟

- لا تخبر (محسن) بشىء .. إذا سألك عنى .. قل له إننى اضطررت للسفر إلى القاهرة فى أمر مفاجئ ، مما اضطرنى للذهاب دون أن أودعه .

- وإذا سألنى عن موعد عودتك ؟

- ذلك سيتوقف على نتيجة التحليل .

* * *



٥ - دعنى وآلامى ..

استقبل (تامر) أباه بشقاوته المعهودة .. لكن هذه الليلة لم يكن (كمال) متأهبًا لتدليله على النحو الذى اعتاده من قبل .. خاصة مع ذلك الوجوم المخيم على المنزل منذ أن علموا بمرض (عُلا) .

طلب (كمال) من ابنه أن يذهب إلى غرفته وهو ينظر إلى خالته قائلاً :

- لقد قابلنى (محسن) اليوم .

سألته (عُلا) :

- هل قال لك شيئًا ؟

- مازال يسألنى عنك .

- إياك أن تكون قد أخبرته بشىء .. أو يكون قد علم بأننى مازلت هنا فى الإسكندرية .

أطلق (كمال) زفرة قصيرة قائلاً :

- اطمئنى .. لقد أخبرته بأنك لم تعودى من القاهرة بعد .

لكنه قلق عليك ، ويتساءل عن السر وراء سفرك المفاجئ هذا ؟

كما يتساءل إذا كان يستطيع الاتصال بك فى القاهرة أم لا ؟

- وبمَ أخبرته ؟

- قلت له ما أردته منى تمامًا .. وهو أن لديك عملاً عاجلاً يستدعى وجودك فى القاهرة .. وأنك قد تعودين إلى الإسكندرية مرة أخرى ، وسوف تعلمينا بذلك قبل عودتك عن طريق الهاتف .

- أتمنى أن يكون قد اقتنع بذلك .

- كلا .. لم يبد مقتنعًا بذلك .. ومازال يتساءل عن السبب الذى جعلك تسافرين هكذا فجأة دون أن تخبريه بأمر هذا السفر ..

- ينبغى ألا يعرف أى شىء الآن .

- لكن (محسن) قلق للغاية .. إنه متيم بحبك يا(عُلا) .. ولا أدرى لماذا لا تشركينه فى الأمر .

- لأننى لا أريد لهذا الحب أن ينقلب إلى شفقة .

- إننى غير موافق على سجنك لنفسك هنا طوال الوقت فى انتظار نتيجة التحليل .. إن هذا قد يسلمك للوهم والاكتئاب .. وربما كان كل هذا بلا مبرر .

- غدًا ستتضح الأمور .

كانت (نجوى) قد دلفت إلى الردهة فى أثناء

حديث (كمال) مع أختها .. فقالت لها وعلى وجهها ابتسامة مشجعة :

ـ إن شاء الله سينتهى كل هذا .. وسنطمئن كلنا عليك .

ـ لو اتضح أن هذا الورم يحمل فى طياته ذلك الداء الخبيث ، فإن الأمر سينتهى بينى وبين (محسن) عند هذا الحد .

ـ لماذا لا تدعين هذا التشاؤم ؟.. لقد قلت لك إن الدكتور (أحمد) أكد لى أنه حتى فى حالة وجود مثل هذا المرض .. فإنه يمكن معالجته جراحيًا وكيمائيًا على نحو يقضى عليه تمامًا .

ـ أعرف ما يقوله الأطباء فى مثل هذه الظروف .. كما أعرف أن العلاج فى مثل هذه الحالة يحتاج إلى وقت طويل ، ولا يمكن التكهن بنتائجه .. لقد سمعت أشياء كتلك التى قالها لك الدكتور (أحمد) ، حينما كانت أمى مريضة بنفس المرض ، لكنها لم تمنحها سوى عامين من الصراع مع المرض والأمل فى الشفاء .. إلى أن استسلمت للنهاية التى فرضها عليها .. وانتهى الصراع بموتها .

إننى غير مستعدة بأى حال من الأحوال لأن أشرك (محسن) فى هذا .

ـ (محسن) إنسان نبيل .. ولن يرضى بالتخلى عنك .

ـ وهذا ما أخشاه .. أريد أن أحتفظ بهذا الحب الجميل الذى عشته معه خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن حيًا فى ذاكرتى ووجدانى .

لا أريده أن يتحول إلى عطف وشفقة .. وموقف إنسانى من جانبه نحوى ..

ثم إنه لايستحق أن يربط مصيره بإنسانة هى نفسها لا تستطيع الحكم على ما سيئول إليه مصيرها .

ـ على كل حال دعينا لانسبق الأحداث .. فربما وجدنا غدًا أن كل هذا لم يكن سوى كابوس مزعج مررنا به .. ثم انتهى .

انحدرت عبرات على وجنتها وهى تقول :

ـ وأنا أتمناه أكثر منكما .. فأنا أشعر بخوف شديد من قسوة هذا المرض ، برغم محاولتى التظاهر بالقوة والصلابة ..

تأثرت أختها بتلك الحالة التى رأتها عليها .. فهرعت نحوها لتحتضنها قائلة :

ـ يا حبيبتى يا(عُلا) .. سأصلى طوال الليل لكى ينقذك الله من هذا المرض ..

* * *

استقبل الطبيب الأسرة الصغيرة بحجرته فى المستشفى وهو يتطلع إلى (عُلا) بنظرت مرتبكة .

وتحدث إلى (كمال) قائلا :

ـ كنت أظنك ستأتى بمفردك حسبما اتفقنا يا (كمال) .

ـ لقد أصرَت (عـُلا) على أن تـأتى معنـا وتعرف نتيجة التحليل بنفسها .

دعـاهم الطبيب إلـى الجلوس .. لكن (عـُلا) ظلت واقفة فى مكانها وعيناها معلقتان بوجه الدكتور .

وتطلع إليها قائلا :

ـ لماذا لا تجلسين يا(عُلا) ؟

ارتسمت ملامح الخوف علـى وجههـا وهـى تجلـس قائلة بصوت مرتعش :

ـ ماهى نتيجة التحليل يادكتور ؟

بدا حائرًا لبرهة من الوقت .. لكنه قال لها مستسلمًا فى النهاية :

ـ لا مناص من أن تعرفى الحقيقة .. يؤسفنى أن أخبرك بأن نتيجة التحليل قد جاءت إيجابية .

ارتعد جسدها وبدا أنها على وشك أن تفقد وعيها وهى تقول :

ـ إذن .. كما توقعت .. إنه المرض اللعين .. قضـى على أمى من قبل ، ثم جاء ليقضى علىّ .

بدت أختها فى حالة هستيرية وهى تصرخ قائلة :

ـ مستحيـل .. مستحيـل .. قل إنكم قد أخطأتم فى التشخيص .. مـاذا جنـت (عـُلا) لكـى تصـاب بهـذا المرض الذى أودى بأمى من قبل ؟

قال لها (كمال) مواسيًا :

ـ استغفرى اللـه يـا (نجـوى) .. فهـذا قضـاؤه .. المهم أن نعرف الآن .. ماذا سنفعل بعد ذلك ؟

قال الدكتور (أحمد) وهو يحاول أن يبعث الطمأنينة فى نفوسهم :

ـ إن الجميع يتصور أن هذا المرض لا شفاء منـه .. وهذا اعتقاد خاطئ .. هناك حالات كثيرة أمكن القضـاء فيها على السرطان ، واستئصاله من الجسم ليشفى منه المريض تمامًا .

قالت له (عُلا) بمرارة :

ـ أشكرك على تلك الكلمات المشجعة .. لكنى أعرف جيدًا مدى خطورة هذا المـرض .. وتلك الحـالات التى تتحدث عنها لا تمثّل سوى نسبة ضئيلـة .. إن الكلمـات المشجعة لم تنقذ أمى من الموت .

قال الدكتور (أحمد) :

ـ لا داعى لهذا التشـاؤم .. فليست قاعـدة أن تتشابه

حالتك مـع حالـة المرحومـة والدتـك .. تـأكدى أننـى لا أحاول أن أهون عليك الأمـر .. لكـن الـورم صغير ومـازال فى مرحلة مبكرة .

وإذا بدأنا العلاج على الفـور فسوف نتغلب عليـه .. لكن أهم جزء فى العلاج هو إرادتك .. يجب أن تتمسكى بالأمل فى الشفاء ، وأن تكونى مستعدة لمقاومة اليأس .

ـ هل هناك أمل حقًا فى الشفاء ؟

ـ نعم الأمل موجود .. لكنى أريد منك أن تتشبثى به معى .

قال (كمال) :

ـ وما المطلوب يا دكتور ؟

ـ يجب أن تستعـد لإجـراء جراحة عاجلـة مـن أجل استئصال الورم .

ـ هل هذه العملية خطيرة ؟

ـ ليس بمثـل خطورة الـورم الذى قد يزداد حجمًا وخطورة .

ـ ألا توجد وسيلة أخرى غير الجراحة ؟

ـ يوجد العلاج الكيميائى .. ولكن نسبة نجاحه محدودة ولايمكن التكهن بها إذا ما اعتمدنا عليه فقط .

ـ هذا يعنى أنها قد تحتـاج إلـى عـلاج كيميـائى بعد إجراء العملية .

ـ نعم .. إنه فى هذه الحالة يصبح علاجًا مكملاً .

قالت (عُلا) :

ـ لقد أجـرت أمى جراحـة مماثلة وعولجـت كيميائيًا بعدها ، لكن السرطان ظهر فى جسدها مرة أخرى ..

قال د. (أحمد) فى لهجة من يريد إنهاء الحوار :

ـ ربما أجرت والدتك الجراحـة فى وقت متأخر ، ولم يتم استئصال الـورم تمامًا .. إن لكـل حالـة ظروفها .. المهم أن نبدأ فورًا ولا نضيع الوقت ..

* * *

أوقف الدكتـور (أحمـد) سيارته أمام المنزل قائلاً لـ (كمال) وزوجته :

ـ يمكنكما أن تصعدا أنتما .

سأله (كمال) :

ـ ألن تأتى معنا ؟

ـ نعم .. إننى أريد أن أتحدث مع (عُلا) قليلاً .

صعد (كمال) مـع زوجتـه إلـى شقتهما ، فـى حين وقف الدكتور (أحمد) مع (عُلا) بجوار السيارة حيث نظر إليها قائلاً :

ـ هناك شىء .. أريد أن تعرفيه .

سألته (عُلا) قائلة :

ـ ما هو ؟

ـ إن العمليـة التى ستجرينهـا قـد تـؤدى إلـى بعض التغيير فى المظهر الخارجى لصدرك .

ـ هل سيصل الأمر إلى حد التشويه ؟

ـ كلا .. لن يصل إلى هذا الحد الذى تتصورينـه .. فقط إن استئصال الورم سيؤدى بالضرورة إلى استئصال جزء من الثدى الأيمن .. ولكن سيمكن التغلب على هـذا بإجراء عملية تجميلية فيما بعد .

وأستطيع أن أضمن لـك أنهـا ستخفى آثـار العمليـة الجراحية الأولى تمامًا .

صمتت (عُلا) وهى لا تجد الكلمات التى تقولها .

بينما استطرد الدكتور (أحمد) قائلاً :

ـ لقـد أردت أن أطلعك على الأمـر حتى تكونى ملمة بكل شىء .

تنهدت قائلة :

ـ افعل ما تراه يا دكتور .. فلـن يكون الأمـر بأسـوأ مما هو عليه .

وأمسك الدكتـور (أحمـد) بذراعيهـا محـاولاً بـث الطمأنينة فى نفسها وهو يقول :

ـ أريد أن تثقى بى يا(عـُلا) .. أنت تعرفيـن أننى

و(كمـال) صديقـان .. بـل بمثابـة الأخويـن ، وأنـت بالتالى تعدين بمثابة أخت لى .. وهذا مـا يضـاعف من مسئوليتى نحوك بالإضافة لمسئوليتى كطبيب .

تأكدى أننى سأبذل كل جهدى ، أنا والفريق الطبى الذى سيباشر معى إجراء الجراحة ، لكى نبدد مخاوفك تماما .

نظرت إليه بتوسل وهى تمسك يده قائلة :

ـ هل سأشفى يادكتور (أحمد) ؟

ـ الشفاء بأمر الله .. ولن نتوانى عن تحقيقه .

وفى تلك اللحظة ، وبينما (عُلا) ممسكة بيد الدكتور على هذا النحو ، وهو يعمل على إشـاعة الطمأنينـة فى نفسها .. رأت (محسن) يقف على بعد خطوات منهما .

كانت المفاجأة شديدة للطرفين .

واقترب نحوها وفى عينيه نظرة تساؤل .

لكنهـا سـارعت بوضـع ذراعهـا فـى ذراع الدكتـور (أحمد) وهى تبتسم قائلة :

ـ أهلاً (محسن) .

صافحها وهو ينقل بصره بينها وبين الدكتور (أحمد) قائلاً :

ـ لماذا رحلت فجأة هكذا دون أن تخبرينى ؟

لكنها لم تجب عن سؤاله .. بل صافحته بترفع .. ثـم قدمته إلى الدكتور (أحمد) قائلة :

[م ٥ - زهور - شمعة لا تنطفئ (٦١)]

ـ الدكتور (أحمد) .

ثم أردفت قائلة :

ـ خطيبى .

وقع الخبر عليه وقع الصاعقة .. وردد غير مصدق قائلا :

ـ خطيبك ؟!

بينما بدا الارتباك على وجه الدكتور (أحمد) الذى نظر إليها فى حيرة ، وهو لا يدرى السر وراء تصرفها هذا .

أما هى فقد كانت تدرك السر وحدها وراء كذبتها هذه .

لقد قررت أن يخرج (محسن) من حياتها ..

* * *



٦ ـ ذكريات على الرمال ..

أفاقت (علا) من ذكرياتها وقد انحدرت عبرة فوق وجنتها .. مسحتها قائلة :

ـ كان يتعين علىّ أن أفعل ذلك .. كان يجب أن أبعدك عن حياتى بعد أن اكتشفت حقيقة مرضى ..

وتنهدت قائلة لنفسها :

ـ ولكنى أشتاق إليك .. أشتاق إليك بكل ذرة فى كيانى .. فأنا لم أنسك يا (محسن) .. ولن أنساك أبدًا .
أنت الرجل الوحيد الذى أحببته .. ولن أحب سواك .

كانت قد جاءت هذه المرة إلى الإسكندرية بمفردها .. دون أختها وزوجها اللذين سافرا ..

جاءت لتقضى بها يومين .. وتجرى بعض الفحوصات الطبية فى مستشفى الدكتور (أحمد) .

ولم تستطع أن تمنع نفسها من المجىء إلى هذا المكان الذى أهاج مشاعرها ، وأعاد إليها ذكرى حبها الأول .

لكن الذكريات حملت إليها مع بهجة لقائها الأول بـ (محسن) مرارة الفراق والحب الذى لم تكتمل سعادته .

واستدارت (عُلا) من حيث أتت ، وهى تلقى نظرة أخيرة على المكان قبل أن تفارقه .

ولكن قبل أن تبلغ نهاية الشاطئ استرعى انتباهها طفلة صغيرة وقفت بمفردها وهى تحدق فيها بعينين جاحظتين .

نظرت إليها(عُلا) لبرهة من الوقت وقد استرعت تلك النظرة فى عينى الطفلة انتباهها .

ومالبثت أن اقتربت منها وهي تبتسم .. وانحنت لتسألها قائلة :

ـ ما هو اسمك يا صغيرتى ؟

لكن الطفلة لم تجبها بشىء .. بل ظلت تحدق فيها بتلك العينين الجاحظتين وقد شبكت أصابعها .

سألتها (عُلا) قائلة :

ـ ألا تريدين أن تعرفينى اسمك ؟ سأعرفك أنا باسمى .. أنا اسمى (عُلا) .. وأنت ؟.

ظلت الطفلة على صمتها .. وقد حولت نظراتها إلى الاتجاه الذى جاءت منه (عُلا) .. وبدا وكأنها شاردة تمامًا عما يقال لها ..

ارتسمت ملامح القلق فى عينى (عُلا) التى جثت على ركبتيها فوق الرمال قائلة :

ـ لماذا لا تجيبيننى ؟ أين أبواك ؟ هل أنت تائهة عن أسرتك ؟

لكن الطفلة ظلت صامتة وقد بدت غير منتبهة تماما لما يقال لها .

وفجأة انتزعت نفسها من بين يدى (عُلا) ، وأخذت تصرخ وقد تشنجت أصابعها ..

اندفعت (عُلا) لتتلقاها بين أحضانها وهى تحاول أن تخفف عنها .. قائلة :

ـ يا إلهى !. كما توقعت .. إن الطفلة مصابة بتخلف عقلى .

وفى تلك اللحظة اندفع أحد الأشخاص وهو يركض نحوهما على إثر تنبهه لصراخ الطفلة .

وهتف قائلا لدى رؤيتها وقد بدت ملامح الانزعاج واضحة على وجهه :

ـ (مها) !..

ثم أسرع ليحتضنها بدوره وهو يقول :

ـ اهدئى يا حبيبتى .. اهدئى .. لقد سببت لنا قلقا شديدًا .. لكن الحمد لله على أنك بخير .

وانتبه لوجود (عُلا) بعد أن هدأت مشاعره .. فنظر إليها قائلا :

ـ عفوا .. يبدو أننا قد تسببنا لك فى بعض الإزعاج .
ـ لا .. أبدا .. لم يحدث أى إزعاج .. ولكنى أعتقد أن (مها) بحاجة إلى عناية خاصة .. فهى كما أرى ...
هز رأسه قائلا :
ـ مصابة بقصور عقلى .. نتج عن سقوطها من إحدى شرفات المنزل وهى فى مرحلة مبكرة من طفولتها .
ـ لقد خمنت ذلك .. أنت والدها .. أليس كذلك ؟
أجابها قائلا :
ـ بل شقيقها .. إنها أصغرنا .
ـ كم عمرها ؟
أجابها قائلا :
ـ عشر سنوات .
ـ ومتى أصيبت بتلك الحادثة التى تسببت فى قصورها العقلى ؟
ـ وهى فى الثانيــة من عمرها .. لقد أجريت لها جراحة فى المخ من أثر الإصابة .. نتج عنها هذه الحالة .
ـ ألم يحدث أى تحسن فى نشاطها العقلى منذ هذه الفترة ؟
نظر إليها بدهشة قائلا :

ـ تحسن طفيف .. لكنك تتحدثين وكأنك خبيرة بمثل هذه الأمور .
ـ أحب أن أقدم لك نفسى .. (عُلا صادق) .. مدرسة فى مدرسة خاصة بأطفال يعانون من حالات مشابهة لمثل حالة أختك .. أى مدرسة خاصة بأولئك الذين يعانون من القصور العقلى .. كما أننى حاصلة على (الماجيستير) فى هذا التخصص .
ابتسم قائلا :
ـ يالها من مصادفة .. أن تعثرى على (مها) من بين الكثيرات ، وهى تقع فى نطاق تخصصك .
أقدم لك نفسى .. (فريد عبد السلام) .. مهندس .
ثم أردف وهو يتأملها على استحياء قائلا :
ـ هل تسمحين بالانضمام إلينا ؟
بدا عليها التردد .. لكنه رجاها قائلاً :
ـ ليتك توافقين .. فأنا واثق من أن أمى ستسعد بلقائك .
وافقت (عُلا) على أن تذهب معه بدافع الاهتمام بالطفلة .. حيث رحبت بها الأم .. ودعتها لتناول الغداء معها فى المنزل .
رفضت (عُلا) فى البداية .. لكن الأم أصرت على أن تلبى دعوتها .. وأخيرا اضطرت لأن ترضخ ، تحت

تأثير تلك النظرات التى تطلعت بها الطفلة إليها ، وبدا أن هناك تعاطفا غريبًا بينها وبين هذه الطفلة .. وأن هناك مايجذبها إليها أكثر من الاهتمام المهنى .. ويدفعها إلى محاولة التعرف إليها أكثر من ذلك .

ولم تلحظ (علا) أنه لم تكن الطفلة وحدها هى التى ترقبها على هذا النحو .. بل إن أخاها أيضا كان يتطلع إليها بإعجاب شديد .

وتدخل (فريد) قائلا :

ـ سآتى إلى منزلك غدًا لكى أصحبك للغداء معنا .

قالت (علا) :

ـ إننى أنزل فى أحد الفنادق .. وكان يتعين علىّ أنْ أسافر غدًا .. لكن لابأس .. يمكننى أن أؤجل السفر إلى بعد غد ..

ـ حسن .. سأذهب إليك فى الفندق غدًا .

ـ لا داعى لكى تتعب نفسك .. يكفى أن تعطينى عنوان الشقة التى تنزلون بها فترة الصيف .. وسوف آتى إليكم .

تدخلت الأم قائلة :

ـ لكنى أخشى ألا تأتى .

ـ مادمت قد وعدتكما فلا يمكننى أن أتخلف .

قال (فريد) :

ـ سنكون سعداء بحضورك .

* * *

غادرت (علا) مائدة الطعام قائلة لمضيفتها :

ـ أشكرك يا (سوسن) هانم على هذا الطعام الشهى .

ابتسمت السيدة قائلة :

ـ أرجو أن يكون طعامى قد أعجبك حقًا ..

ـ لم أذق أشهى منه .

ابتسمت السيدة وهى تدعوها إلى الجلوس بجوارها قائلة :

ـ بالهناء والشفاء .. إنك تعرفين كيف تأسرين الناس بكلماتك الرقيقة المجاملة .. وهذا ما يجعلنى أطمع فى كرم أخلاقك .

نظرت إليها (علا) بدهشة قائلة :

ـ أنا تحت أمرك يا (سوسن) هانم .

قالت لها السيدة :

ـ العفو يا بنيتى .. إن ماسأطلبه منك لمطلب إنسانى .

لقد سمعت أنك متخصصة فى التدريس لحالات مشابهة لحالة ابنتى .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .

سألتها قائلها :

ـ لقد حاولت أن أدخلها مدرسة مشابهة لتلك المدرسة التى تدرسين بها ، لكنها لم تستمر بها لأكثر من عامين .. بدا لنا خلالهما أنها تحرز تقدما بالنسبة لحالتها .

لكن فجأة تراجعت عن الاستمرار فى الدراسة ، وفشلت كل محاولاتنا فى دفعها إلى الذهاب إلى المدرسة .

لذا فأنا آمل أن تتولى تعليمها لفترة من الوقت، فى المنزل .. وأن تؤهليها لكى تكون مستعدة للالتحاق بالمدرسة مرة أخرى .. ولا بأس أن تكون نفس المدرسة التى تعملين بها .. لو كان تعلقها بك هو الدافع إلى استكمالها لدراستها .

قالت لها (علا) وهى تخفى حماسها للفكرة :

ـ ولكن لماذا تظنين أننى سأنجح معها بعد أن فشل الآخرون ؟

ـ لا أدرى .. إن لديك المؤهلات الكافية لذلك .. ولديك الخبرة .

ولدى الشعور بأنك تمتلكين ما هو أهم .. إنك كما تبدين لى إنسانة عطوفا .. وقد استطعت أن توجدى نوعا من التقارب خلال فترة قصيرة بينك وبين (مها) .. وهذا مافشل فيه الآخرون .

صدقينى .. ليس لأنها ابنتى .. ولكننى أعتقد أن حالتها ليست سيئة للغاية على النحو الذى تبدو عليه .

إنها فقط بحاجة لبعض الفهم والتعاطف .

تحدثت (علا) قائلة :

ـ لاأعتقد أننى أستطيع أن أرفض طلبك هذا يا (سوسن) هانم .

وتهللت أسارير وجه المرأة قائلة :

ـ حقا .. أشكرك من صميم قلبى .. كنت أعرف أنك لن تخذلينى ..

والآن دعينا نتفق على تفاصيل العمل .. متى ترغبين فى البدء معها ؟

ـ فى الوقت الذى يوافقك .

ـ إننا سنعود إلى القاهرة يوم الأحد القادم .. سأعطيك عنوان منزلنا هناك ، ويمكنك أن تأتى إلينا يوم الثلاثاء .. وبخصوص الأجر ...

قاطعتها (علا) قائلة :

ـ إذا كنت قد وافقت على إعادة تأهيل (مها) للدراسة ، فإننى لن أقبل أجرا فى مقابل هذا العمل .

ـ ولكن يا بنيتى .. لابد أن تحصلى على أجر مقابل عملك .

- أولا : إننى سأكون سعيدة بأداء ذلك العمل ، وسأكون أسعد إذا ما نجحت فيه .. فأنا أشعر بشىء من الانجذاب نحو ابنتك .

ثانيا : إن تعاملى معها سيفيدنى كثيرا فى رسالة الدكتوراه التى أعدها بشأن إعادة تأهيل مرضى القصور العقلى .. فأنا لم أحقق غايتى العملية بهذا الشأن من خلال مجموعة كبيرة من التلاميذ فى مدرستى ، ومن خلال الالتزام ببرنامج دراسى محدد .

لكنى أعتقد أننى سأنجح فى ذلك من خلال التعامل مع حالة محددة مثل حالة ابنتك .

أما عن بقية التفاصيل .. فهى أننى سأحضر إلى منزلك لبضع ساعات ولمدة أربعة أيام فى الأسبوع .

وسوف ينتهى عملى مع ابنتك مع نهاية الإجازة الصيفية .. وإن شاء الله . أعتقد أننى سوف أنجح فى إعادتها إلى المدرسة ، وإعادة تأهيلها من جديد ، وربما حققنا تقدما مطردا فى حالتها العقلية .

أغمضت المرأة عينيها قائلة :

- إننى لا أتمنى من الله أكثر من ذلك .

ونهضت قائلة :

- آه .. الشاى .. لقد نسيت أن أحضر لك الشاى .

- لا داعى لذلك .

- بل سأحضره لك وآتى فى الحال .

وفى تلك اللحظة دخل (فريد) إلى الحجرة حيث ابتسم قائلا :

- أرجو أن يكون طعامنا قد أعجبك .

قالت (علا) :

- كان ممتازا .. وأنا شاكرة لدعوتكما الكريمة .

واقترب منها قائلا :

- بل يتعين علينا نحن أن نشكرك لتشريفك لنا .

وجلس فى المقعد الذى يجاورها قائلا :

- لقد أخبرتنى أمى الآن أنك قد وافقت على تأهيل (مها) للدراسة مرة أخرى .

- نعم .

- إن هذا كرم بالغ منك .

- بل .. هذا ما أرغب فيه فعلا .

- ولكنى أحذرك .. ربما أرهقتك (مها) فى البداية قليلا ..

- إننى معتادة على التعامل مع هذه النوعية من الأطفال .

- هل حدث تحسن فى حالات البعض منهم ؟ أعنى

هل أمكن التغلب على بعض حالات القصور العقلى من بين تلاميذك ؟

ـ حالات كثيرة قد تحسنت وطرأ تغيير كبير على نموها العقلى .. إن البعض يظن أن العلاج الطبى هو الأساس فى مثل هذه الحالات .. ويهمل دور التأهيل النفسى والتعليمى .. وهذا خطأ فادح .. لأن التأهيل النفسى والتعليمى علاج مكمل للعلاج الطبى .. بل قد يفوقه فى بعض الأحيان ..

ـ أعتقد أن الأمر يحتاج إلى صبر وكثير من المشاركة الوجدانية مع هؤلاء لكى يمكنك النجاح فى هذا .

ـ نعم .. هو ماقلته .. المشاركة الوجدانية والقدرة على الصبر والتحمل .

ابتسم وهو يتأملها بإعجاب قائلا :

ـ أعتقد أنك تملكين الكثير من هذه الصفات ..

وفى تلك اللحظة دخلت الأم حاملة الصينية عليها أكواب الشاى .. فسارع (فريد) بتناولها منها ليضعها على المائدة الصغيرة التى تتوسط الحجرة وهو يسألها قائلا :

ـ كم قطعة سكر ؟

قالت له (علا) :

ـ أشكرك .. سأتولى ذلك بنفسى ..

ثم سألت الأم :

ـ كم قطعة سكر ؟

أجابتها قائلة :

ـ قطعة واحدة .

أذابت (علا) السكر فى الشاى وقدمت الكوب للمرأة قائلة :

ـ تفضلى .

وسألت السؤال ذاته لـ (فريد) .. فقال لها :

ـ قطعتان .. ولكن ألا ترين أن ذلك مجاف للذوق أن تقومى بدور المضيفة وأنت فى ضيافتنا .

ابتسمت (علا) وهى تقدم له الشاى قائلة :

ـ ألا ترى أنت أننى قد تآلفت معكما سريعًا ، بحيث لم أعد أعتبر نفسى ضيفة ؟ أم أنك ترى فى ذلك تجاوزًا للحدود ؟ وأننى مازلت غريبة بينكما .

حدق فيها ومازالت نظرات الإعجاب الواضح تطل من عينيه .. قائلا :

ـ بالعكس .. إننى سعيد بهذا التآلف الذى حدث سريعًا .. وأتمنى أن يكون هذا هو تصرفك معنا دائمًا .

ابتسمت (علا) تلك الابتسامة الهادئة التى تضفى عليها مظهرًا ملائكيًا قائلة :

ـ لابد أن أكون كذلك حتى يمكننى التآلف أيضا مع (مها) واكتساب ثقتها .

ـ هل أفهم من ذلك أن الأمر لا يعدو أن يكون تطبيقا لإحدى نظريات علم النفس التى تدرسينها ؟

ـ هل تريد أن أكون صادقة معك ؟

ـ نعم .. بكل تأكيد .

ـ إن هذا هو شعورى الحقيقى بالفعل الآن .. إننى أحس بأننى لست غريبة بينكما .

ـ وهذا هو نفس شعورنا نحوك .

ونظر إلى أمه قائلا :

ـ أليس كذلك يا أمى ؟

نظرت إليها الأم بحنان قائلة :

ـ بلى ، هو كذلك يا بنى .. لقد دخلت هذه الفتاة قلبى منذ الوهلة الأولى التى رأيتها فيها .

أرجعت (عُلا) رأسها إلى الوراء وهى تنظر إلى النافذة المفتوحة أمامها قائلة :

ـ لقد كنت أومن دائما بأن هناك أمورا أقوى من النظريات العلمية ، وهى اللمسة السحرية بين البشر .. تلك اللمسة التى تؤدى إلى تآلف القلوب ..

وتذكرت متى أحست بهذه اللمسة من قبل دون أن تدرك مغزاها وقتها .

لقد كان ذلك اليوم الذى التقت بـ (محسن) .

نبأتها حاستها السادسة بأن هناك شيئا قدريا سيجمع بينه وبينها .

وإن لم تستطع أن تتنبأ بأن القدر دبر لهذا اللقاء نهاية غير التى تمنتها ..

ربما كان إحساسها نحو هذه الأسرة مختلفا .. إنها تشعر بالألفة والتقارب .. والتعاطف مع تلك الطفلة المسكينة .. وتتمنى لو نجحت فى تحقيق الآمال المعقودة عليها .. لكنها مازالت تخشى تلك النهايات التى يدبرها القدر لمثل ذلك النوع من التقارب والتآلف

* * *



٧ ـ لن أفقد الأمل ..

كان ذلك هو يومها الأول فى الذهاب إلى منزل الأسرة الصغيرة التى تعرفتها فى (الإسكندرية) .

ولم تتصور أن منزلهم فى (القاهرة) هو فيلا أنيقة فى أحد أحياء المعادى ، محاطة بحديقة جميلة .

كان المظهر الخارجى للفيلا يدل على ثراء أصحابها .. حقًا إن الشقة التى كانوا يقيمون بها فى (الإسكندرية) لم تكن تقل أناقة .. لكنها ظنت أنها مجرد شقة مفروشة للاصطياف دُفع فيها مبلغ كبير من المال لكى تقضى الأسرة بها بضعة أيام خلال الصيف .

أما هذه الفيلا الأنيقة فهى تعطى دلالة واضحة على الثراء الذى يتمتع به ساكنوها ..

استقبلتها الأم بترحاب كبير وببساطة تتنافى مع ما كانت تظن (علا) فى أصحاب الثراء .

فقد كانت تظن أن نسبة كبيرة منهم تتميز بالغرور والغطرسة ..

لكن هذه الأم لم تكن لتشعرها بذلك مطلقًا .

همست لها قائلة :

ـ يسعدنى أنك قد وفيت بوعدك وجئت حسب اتفاقنا .

ـ لقد أخبرتك أننى لست ممن يخلفون وعودهم .

رافقتها الأم إلى الداخل قائلة :

ـ تفضلى يا بنيتى .

حدقت (علا) فيما حولها مبهورة بما تراه .. كان كل شىء حولها يؤكد الانطباع الذى تولد لديها منذ الوهلة الأولى ، حول ثراء هذه الأسرة التى آلت على نفسها تعليم ابنتهم المتخلفة عقليًا .

وفوجئت بـ (فريد) واقفًا على بعد عدة خطوات منها ، وعلى وجهه تلك الابتسامة البشوش المرحبة .

وكان فى كامل أناقته .. مما زاد من وسامته .

قال لها بصوت ينم عن اشتياق حقيقى :

ـ مرحبًا بك فى منزلنا .. إننى سعيد لأنك لبيت دعوتنا .

قالت لها الأم وهى تدعوها إلى الجلوس :

ـ بالأمس كان (فريد) يؤكد على أنك ستأتين اليوم .

قالت (علا) :

ـ أشكركما على كل هذا الاهتمام .

وتلفتت حولها قائلة :

ـ أين (مها) ؟

- إنها فى غرفتها .. سأناديها لك .
- بل سأذهب إليها بنفسى .. فأنا أفضل أن أذهب إليها فى غرفتها .
- إنك تبدين متحمسة للغاية .. ما رأيك فى تناول بعض الشاى أولا ؟
- لا داعى لذلك .. يمكننى أن أشربه بعد قضاء بعض الوقت مع (مها) .
قال (فريد) :
- سأحضره لك بنفسى .
- أشكرك على هذا الكرم البالغ .
قالت الأم :
- تعالى معى يا بنيتى .. سأصحبك إلى حجرة (مها) .
ارتقت (غُلا) درجات السلم المؤدى إلى الطابق العلوى فى صحبة الأم ، حيث قادتها إلى حجرة الطفلة .
كانت (مها) جالسة فوق الفراش تلعب ببعض الدمى ، وقد جلست بجوارها سيدة عجوز تداعبها ..
قالت لها الأم وهى تقدمها للسيدة :
- دادة (أمينة) .. إنها معنا منذ سنوات بعيدة .. وهى تتولى مشاركتى فى رعاية (مها) وتنام معها فى غرفتها فى أثناء الليل .

صافحتها (غُلا) قائلة :
- أهلا دادة (أمينة) .
قالت لها السيدة التى ترتسم على وجهها أمارات الطيبة :
- أهلا بك يا بنيتى .
قدمتها الأم إليها قائلة :
- الأستاذة (غُلا) .. إنها هى التى ستتولى تعليم (مها) خلال الأشهر القادمة .
قالت السيدة بلهجة حانية :
- ليتك تستطيعن إعادتها إلى المدرسة مرة أخرى يا بنيتى ..إن الطفلة ليست متخلفة تماما على النحو الذى يتصوره الناس عنها .. إنها فقط بحاجة إلى مزيد من الرعاية والاهتمام .
قالت الأم :
- تستطيعين أن تذهبى أنت الآن يا دادة (أمينة) .
غادرت المرأة الحجرة ، فى حين اقتربت الأم من فراش ابنتها لتجلس إلى جوارها وهى تهمس لها قائلة :
- حبيبتى (مها) .. لقد جاءت الأستاذة (غُلا) لتعلمك بعض الأشياء التى ستحبينها كثيرا .. وأريد أن تكونى لطيفة معها .

بدا أن الطفلة لا تستمع لشىء مما تقوله أمها ، وأنها منشغلة تماما فى تحريك الدمى التى بين يديها حركة بطيئة لا تنم عن إحساس حقيقى .

تأملتها الأم لبرهة .. ثم أطلقت تنهيدة صغيرة من صدرها تأسيا عليها .

ونهضت قائلة لـ (غلا) :

ـ أعتقد أنك تريدين الآن الانفراد بها .. إذا احتجت لشىء نادينى .

ثم غادرت الحجرة تاركة (غلا) واقفة فى مكانها ، وهى تنظر إلى الطفلة التى كانت تنظر إلى الجدار بنظرات شاردة .. تبدو معها وكأنها فى عالم آخر لا يمت للواقع بصلة .

تأملتها (غلا) قائلة :

ـ هل تذكريننى ؟ لقد التقينا من قبل على شاطئ البحر .

لكن الطفلة لم تجبها بشىء .

اقتربت منها (غلا) لتجلس بجوارها ، ثم مررت يدها على شعر الطفلة بحنان قائلة :

ـ هل تحبين اللعب بالدمى ؟

ثم مدت يدها وهى تحاول أن تأخذ إحدى عرائسها قائلة :

ـ هل تجعليننى أشاركك اللعب ؟

لكن الطفلة جذبت منها الدمية وهى ما زالت تنظر إلى الجدار .. وكأنها تعلن بذلك رفضها .. لمثل هذه المشاركة .

قالت لها (غلا) بصوت هادئ النبرات :

ـ ألا تريدين أن ألعب معك ؟ أترغبين فى أن أنصرف ؟

كانت تراقب وجه الطفلة باهتمام وهى تحادثها ، باحثة عن أى تعبير إيجابى يمكن أن يكون بداية لصلة ما بينهما .. لكنها لم تر غير الجمود فى عينيها .

نهضت (غلا) قائلة :

ـ حسن .. إذا كنت ترفضين أن ألعب معك .. وتريدين منى أن أغادر حجرتك .. فسوف أفعل .. سأتركك وأنصرف .. برغم أننى أحببت أن أشاركك اللعب .. وأردت أن أعرّفك بعض الألعاب التى أعرفها .. وأريك ما تفعلين بتلك العرائس الصغيرة .

واستدارت متجهة نحو الباب وهى تكرر :

ـ إننى سأنصرف .. وربما لن تريني بعد الآن .

وحينما همّت (غلا) بفتح الباب سمعت الطفلة تهمهم ببضع كلمات .

التفتت إليها فوجدتها وقد حولت عينيها عن الجدار لتنظر إليها .

ثم حركت يدها التى تحمل الدمية ببطء إلى أعلى وهى تشير بها نحوها .

قالت لها (عُلا) مبتسمة وقد أسعدتها هذه البادرة التى تدل على شىء من الاستجابة :

- أتريدين أن آخذها ؟

هزت الطفلة رأسها وهى تومئ بذلك .

عادت (عُلا) لتسألها :

- هل تحبين أن أبقى معك ولا أنصرف ؟

فهزت الطفلة رأسها مرة أخرى وهى تنظر إليها معلنة عن رغبتها فى ذلك .

قالت لها (عُلا) :

- كلا .. أريد أن أسمعك تقولين هذا .

ظلت .. (مها) واجمة وكأنها لا تدرى كيف يمكنها التعبير عن ذلك .

- هيا .. دعينى أسمعك تقولينها .. فأنت لست طفلة بكماء ، وتستطيعين التعبير عما تريدين قوله .

لكن الطفلة ظلت صامتة وهى تلوح لها بالدمية محاولة دفعها لأخذها .

- حسن .. إنك مصرة على الصمت .. إذن فسوف أترك هذه الغرفة ولن أعود إليها .. كما لن أشاركك اللعب بالدمى .

واستدارت مرة أخرى لتفتح باب الحجرة ، ثم غادرتها وهى تسير بخطوات بطيئة .

وما لبثت أن لحقت بها الطفلة لتجذبها من ثوبها قائلة :

- تعالى .. لتلعبى معى !

ابتسمت (عُلا) وأمسكت بيدها وهى تعود بها إلى الحجرة ، حيث جلست إلى جوارها على الفراش وتناولت دميتها ، ثم أخذت تعلمها طريقة العناية بها وتصفيف شعرها .. والطفلة تصغى لها باهتمام .

طرق (فريد) باب الحجرة ، ثم دخل حاملا صينية عليها أكواب الشاى ، وقد علت الابتسامة وجهه حينما رأى أخته مستكينة فى صدر (عُلا) على هذا النحو .

قال وهو يقدم لها كوب الشاى :

- أرى أنكما قد صرتما صديقتين .

ثم أردف قائلاً :

- إنها نادرا ما تسمح لأحد بأن يأخذ منها إحدى هذه الدمى .

- لقد أعطتنى إياها طواعية .. وأرى أنها تستجيب بصورة مدهشة لما أحاول أن ألقنه لها بشأن التعامل مع هذه الدمى .. وهذه دلالة طيبة .

ـ هل تعتقدين أنه يمكن أن يطرأ تحسن على حالتها ؟

ـ إنها بحاجة لبعض الصبر والتفهم .. فأنا لا أعتقد أن لديها قصورا عقليًا شديدا .

ـ هذا ما تؤكده التقارير الطبية بشأنها .

ـ هل يمكننى الاطلاع على هذه التقارير ؟

ـ بالطبع .. سأحضرها لك .

وتأملها قائلا :

ـ إننى متفائل بوجودك معنا هنا .

ـ إننى بحاجة لتضافر جهود الجميع معى .

ـ سأكون طوع أمرك فيما تطلبينه منى .

ـ الأمر لا يحتاج إلى تعليمات وأوامر .. فكما أرى .. أنك تحب شقيقتك بصورة كبيرة .

ـ الكل هنا يحبها .. ومستعد لفعل أى شىء من أجلها .

تأهبت (عُلا) لتناول عشائها عندما سمعت رنين جرس الهاتف .

تناولت السماعة لتسمع صوته يسألها قائلا :

ـ أرجوا ألا أكون قد أزعجتك !.

سألته قائلة باستغراب :

ـ هل أعرف أولا من المتحدث ؟

أجابها قائلا :

ـ كنت أظن أنك لم تنسى صوتى .. أنا (فريد) .

أحست بالدهشة الممتزجة بشىء من القلق ؛ لاتصاله بها فى هذا الوقت من الليل .. إنها المرة الأولى التى يتصل بها تليفونيا .. وهى الآن تشعر بأنه لم يكن يتعين عليها أن تمنحه رقم هاتفها .

ولكن لم لا ؟ ربما كانت هناك بعض المتاعب التى تتعرض لها (مها) وأراد أن يحدثها بشأنها .

تحدثت إليه قائلة :

ـ أهلا وسهلا يا أستاذ (فريد) .

قال لها بلهجة معاتبة :

ـ ألن تتوقفى عن مناداتى بهذه الطريقة الرسمية ؟ لقد أصبحنا الآن صديقين ..أليس كذلك ؟

أجابته قائلة :

ـ بلى ..

ثم أردفت وهى تتجاوز سؤاله قائلة :

ـ هل هناك شىء ؟ أعنى هل حدث شىء بالنسبة لـ (مها) ؟

ـ كلا .. إنها بحالة طيبة .. لقد أردت فقط أن أتأكد من حضورك غدا .

- إننى سآتى بالطبع .

مرت بينهما برهة من الصمت خيل لها خلالها أنه لايدرى ماذا يقول ..

ثم ما لبث أن تحدث قائلا :

- فى الحقيقة إن حضورك قد أصبح هامًا للغاية بالنسبة لى .

قالت له متجاهلة تلميحاته :

- لابد أن هذا نابع من اهتمامك الشديد بأختك الصغيرة.

قال لها سريعًا :

- كلا .. إن ما أقوله لا علاقة له بحالة أختى .
- إذن .. ما هى أهمية حضورى لديك ؟ عدا كونى أتولى العناية بحالة أختك ، وأننا قد أصبحنا أصدقاء .
- (غـلا) .. كنت أظن أنك قد بدأت تدركين ذلك .
- ما الذى تريد منى أن أدركه ؟

قال لها بصوت ينم عن خيبة أمله :

- ستدركين كل شىء فى حينه .. عندما نزداد تقاربًا .
- أستاذ (فريد) ..

قاطعها قائلا :

- (فريد) فقط .. قلنا لا داعى للرسميات .
- (فريد) أرجو ألا يكون ما أفكر فيه صحيحًا .

- ولم لا ؟ (غـلا) .. إننى أشعر بميل قوى نحوك .
- هكذا ستجعلنى أغير رأيى فيك .
- إننى أحاول أن أكون صادقا معك .
- ولكنك هكذا لاتكون صادقا معى .. لقد اتفقنا على أن نكون أصدقاء لا أكثر .. أما أن تتصل بى فى هذا الوقت من الليل لتخبرنى بأنك تشعر بميل قوى نحوى .. فهذا يتخطى حدود الصداقة .
- إننى بالفعل أرغب فى تخطيها ..
- إن هذا قد يفسد الصلة بيننا .. بالرغم من أننى كنت أفضل أن أبقى محتفظة بصداقتك .
- لماذا تقولين ذلك ؟ إننى لست شابًا عابثًا أو مستهترًا ولا أسعى من وراء حديثى هذا لأية أفكار سيئة قد تمر فى تفكيرك .

إننى أحس باتجذاب عاطفى إليك يا (غـلا) .. أحسه منذ أن رأيتك .. ولا أقوى على مقاومته .

وأحست بالارتباك وهى تقول له :

- (فريد) .. إنك .. إنك .

قاطعها قائلا :

- لا تقولى شيئا .. لا أريد أن أسمع منك أى شىء الآن .. فقط لا أريد أن توصدى الباب أمام مشاعر كل

منا تجاه الآخر .. امنحينا فرصة لكى نزداد تقاربا ..
وأنا أعدك إذا لم تجد مشاعرى صداها لديك فإننى لن أحاول مطلقا أن أفرضها عليك .

ـ الأمر لا علاقة له بمشاعرى ومشاعرك .. لقد جئت إلى منزلكم من أجل هدف محدد .. وهو إعادة تأهيل (مها) لمواصلة دراستها .. ولا أريد أن ينجم عن ذلك أية أفكار أخرى ..

ـ لن يعوقك أحد عن أداء عملك .. ولكن أنت نفسك قلت إنك تشعرين بالألفة معنا .. وأنه قد حدث بيننا تقارب سريع . .

كما تقرين بأنه قد تولدت بيننا صداقة سريعة خلال الأيام التى تعارفنا فيها .

إذن لماذا لا تدعين تلك العلاقة تتدفق فى مجراها الطبيعى ؟ .. ربما أسفرت عما هو أكثر من ذلك .

لماذا تقصرين صلتك معنا على العمل الذى تقومين به مع (مها) ؟ وتضعين حاجزا أمام أية مشاعر إنسانية طبيعية أخرى قد تنتج من صلتك بهذه الأسرة ؟!

ـ لاعتبارات عديدة .

ـ ما هى ؟

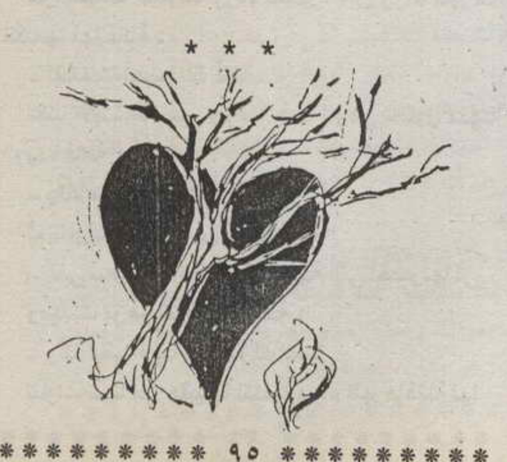
ـ أفضل ألا أتحدث عنها الآن .

ـ حسن .. وأنا لن أطلب منك أن تحادثينى عنها الآن .. لكنى سأبقى محتفظا بالأمل .

وكما قلت بشأن الأمل فى تطور حالة (مها) .. أنها تحتاج إلى التفهم والصبر .. وسوف أستخدم نفس كلماتك ، أملا فى الوصول إلى قلبك ، سأستعين بالفهم والصبر ..

سأكون بانتظارك غدا .. وأتمنى لك ليلة طيبة .

* * *



٨ - لقاء قدرى ..

فتحت ذراعيها للطفلة التى أسرعت لتلقى بنفسها بين أحضانها وهى تسألها قائلة :

- أين كنت مختبئة ؟

أشارت لها (مها) إلى زاوية فى حديقة الفيلا قائلة :

- هنا .

- ولماذا أخفيت نفسك هنا ؟ ألم ترغبى فى مقابلتى ؟

لكن الطفلة تناولت وردة صغيرة من وراء ظهرها لتقدمها لها قائلة :

- لقد كنت أحضر لك تلك .

علت الابتسامة على وجه (غلا) وهى تتناول منها الوردة قائلة :

- يالك من طفلة رقيقة !.

ثم تناولت وجهها بين يديها قائلة :

- إننى سعيدة بهذه الزهرة الجميلة التى أحضرتها لى .

وصمتت برهة ثم أردفت قائلة :

- وأنا أيضًا أريد أن أقدم لك شيئًا .

تناولت شيئًا من حقيبتها لتخفيه وراء ظهرها قائلة لها :

- حزرى .. ما هو ؟

انتابت الطفلة حالة من الفضول الشديد ، وهى تحاول معرفة ما تخفيه (عُلا) وراء ظهرها .

ثم ما لبثت أن بدأت تظهر عليها بعض ملامح التوتر العصبى نتيجة هذا الفضول ومحاولة (عُلا) إثارة اهتمامها .

لاحظت (عُلا) تلك التقلصات التى بدأت تظهر على وجهها .. فسارعت بإبراز ما تخفيه وراء ظهرها قائلة وهى تبادرها بابتسامة مريحة وبصوت دافئ :

- هاهى ذى مجلة مصورة .. بها الكثير من الصور الجميلة .

هدأت حدة التقلصات التى ارتسمت على وجه (مها) .. لكن بدا وكأنها تشعر بشىء من خيبة الأمل .. فلم تكن فيما يبدو هذه هى الهدية التى تتوقعها .. كانت (غلا) ترقب تعبيرات وجهها بدقة .. ولم تخف عليها التغيرات التى طرأت عليه .. فالملاحظة هى من أهم سمات عملها .

لذا سارعت لتقول لها :

- إنك ستحبين هذه المجلة كثيرًا .. وستطلبين منى أن أحضر لك واحدة أخرى بعد أن ترى الصور الجميلة التى تزخر بها .. هيا دعينا نراها .

كان (فريد) واقفًا فى الشرفة يرقب هذا المشـهد ، وعينـاه تفضحـان إعجابـه الشـديد بـ (عُـلا) .. حينمـا اقتربت منه أمه لتطلع على هذا المشهد بدورها قائلة :

ـ يبدو أنها تحرز تقدمًا معها .

ابتسم (فريد) قائلاً :

ـ نعم إننى مطمئن لوجودها معها .. أشعر بأنها تحب (مها) حبًا حقيقيًا ، وهذا هو السر فى تقاربهما .

فهى لا تعتمد على خبراتهـا الدراسية .. أو براعتهـا فـى هـذا التخصـص قـدر اعتمادهـا علـى وجـود صلـة إنسانية بينها وبين (مها) .. وهـذا هـو الشـىء الـذى كانت تحتاج إليه الطفلة .

ابتسمت الأم وهى تنظر إليه قائلة :

ـ لكن يبدو أنها لم تكتسب قلب (مهـا) وحدهـا فى هذا المنزل .

نظر إليها (فريد) قائلاً :

ـ ماذا تعنين يا أمى ؟

ـ أعنى أننى ألحـظ بوضوح أنها أصبحـت تستأثـر بإعجابك .

ـ إنها تستحق الإعجاب .. أليس كذلك ؟ أنـت نفسـك لا تستطيعين أن تنكرى أنك معجبة بها .

ـ نعم لا يمكننى أن أنكـر ذلك .. لكن إعجابًا يختلـف عن إعجاب .

ـ أعرف ما الذى تلمحين إليه .. وربما كان ما تفكرين فيه صحيحًا .

ـ أتمنى ألا يتطور الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك .

ـ لماذا يا أمى ؟

ـ حتى لا تفسد علاقتنا بالفتاة .

ـ وما الذى يدعو إلـى إفسادها ؟ إن (مهـا) تحبهـا وأنت تقدرينها .. فلا يوجد ما يحول بينى وبين ..

قاطعته أمه قائلة بلهجة حازمة :

ـ بل يوجد .. هناك الفارق الاجتماعى بيننا وبينها .. وهنـاك أيضًا مشـاعرها التى قـد تكـون مختلفـة عـن مشاعرك نحوها .

ـ الفـارق الاجتماعى لن يكـون مشكلـة .. أمـا عن مشاعرها فلا يمكن الحكم عليها الآن .

قالت له أمه وفى صوتها نبرة قلقة :

ـ (فريد) .. لقد كنت دائمًا عاقلاً متزنًا .. فلا تـدع مثل هذه المشاعر الصبيانية تقودك إلى تفكير خاطئ .

تأمل (فريد) (عُـلا) قائلاً لنفسه :

ـ إننى لا أعرف سوى شىء واحـد وهو أننى أحـب

هذه الفتاة ، وأتمناها زوجة لـى .. وسوف أعمل على تحقيق ذلك .

كانت (عُلا) قد قضت ليلة مؤرقة بالأمس .. وهى تفكر فى ملاحقة (فريد) لها .. لقـد فوجئت بهـذا الاندفاع العاطفى من جانبه ، وهو الأمر الذى لم تتوقعه .

إن (فريد) شـاب لطيف ، وعلى درجة كبيرة من الجاذبية والوسامة ، على نحـو يؤهلـه لأن يكـون محط إعجاب الكثير من الفتيات .. أما هـى فلم تشعر تجاهه بأى شعور يتجاوز حدود الصداقة والإعجاب .

لكنه غير مقتنع بأن يتوقف الأمر عند هذا الحد .. إنه يصبو إلى إقناعها بحبـه .. أو علـى الأقل التجاوب مع مشاعره نحوها .. وهى تقدر هذه المشاعر ولا تريد أن تصده على نحو يسىء إلى العلاقة القائمة بينهما ، والتى تحرص علـى أن تظل قـائمة فـى الإطـار الـذى تتمناه لها .

كما أنها تشعر بأنها تحرز تقدمـا مـع (مهـا) التـى أحبتها وأصبحت وثيقة الصلة بهـا .. وليسـت علـى استعداد للابتعاد عن هذا المنزل والتراجع عن النجاح الذى بدأت تحرزه .. والعلاقة الإنسانية التى أخذت تمنـو بينهـا وبين الطفلـة .. ولا تستطيـع أن تنكـر أنها قد فكـرت

أحيانا فى (فريد) ، على النحو الذى يمكن أن تفكر بـه أيـة فتـاة يبثها شـاب وسيم وجذاب مشـاعره ، قائلـة لنفسها :

ـ لم لا ؟ لم لا أترك هذه المشـاعر تـأخذ مجراها .. ربما لو شجعته .. لفكر فى الزواج بى ..

ألا يتعين علىَّ أن أتزوج مثل الأخريات ؟.. وأية زيجة أفضل من هذه الزيجة ؟ شاب ثرى ووسيم ويحبنـى .. إنه الشىء الذى تتمناه معظم الفتيات ، ولا يشترط وجود الحب من جانبى .. فالحب لم يكن دائما هو الأساس فـى نجاح معظم الزيجات .

هناك زيجات كثيرة نجحت دون حـب .. يكفى وجـود شىء من القبول من جانبى .

لكنهـا سـرعان مـا كـانت تعـود لتطـرد هـذه الأفكـار الغريبة عن ذهنها ، قائلة لنفسها :

ـ ما الذى دهـانى ؟ إننى لم أعتـد أن أفكـر بهـذا الأسلوب .. الأسلوب الذى كانت تدفعنى إلى التفكير بـه دائما أختى (نجوى) .. اقتناص الفرص ..

وتنهدت وهى تعود لتقول لنفسها :

ـ إنه على كل حال محاولة للخروج من النمط الـذى اعتدت أن أفكر به ومن حالة اليأس التى تمر بى .

لقد فقدت (محسن) .. الرجل الوحيد الذى أحببته .. وتمنيت أن أكون زوجته .. ومازلت أعالج من مرض خبيث .. لم يتقرر شفائى منه بعد .

فكيف يتسنى لى .. أن أكون لرجل آخر سواه ؟ وكيف أسمح لنفسى بأن أخدع هذا الشاب ، وتلك الأسرة الطيبة ؟ بتشجيعه على الزواج من إنسانة مريضة مثلى .. ثم هناك الفارق الاجتماعى .. وأشياء أخرى تجعلنى ألقى بهذا التفكير وراء ظهرى .. وأعتبره نوعًا من الهلوسة .

على كل حال كان يتعين عليها أن تكون لطيفة مع (فريد) وأن تبقى على الود القائم بينهما دون السماح بأية تجاوزات .

لذا فعندما غادرت حجرة (مها) والتقت به وتلك الابتسامة على وجهه بادرت بأن تقول له :

ـ إنك تبدو لطيفًا للغاية عندما تبتسم هكذا .

ـ إن هذا لا يقارن بابتسامتك المشرقة .. هل نامت (مها) ؟

ـ نعم لقد تركتها فى الفراش الآن وهى مستسلمة للنوم .

ـ لقد رأيتك اليوم تلقنينها بعض الدروس .

ـ ليس تمامًا .. لقد أطلعتها على بعض المجلات والكتب المصورة فقط .. لكى أحبب إليها الكتاب من خلال هذا .. وهى خطوة أولى نحو استخدام الكتب فى التعليم بالنسبة لمثل هذه الحالات .

ـ إنك تجيدين أداء عملك .

ـ إننى أحاول أن أفعل ما بوسعى ؛ لكى أعيد إليها الرغبة فى التعلم والدراسة ..

ـ ما رأيك لو جلسنا معًا فى الحديقة قليلاً ؟

ـ أعتقد أنه يتعين علىَّ أن أنصرف الآن .

ـ إن الوقت مازال مبكرًا على انصرافك .. دعينا نتحدث قليلاً .

ـ كما تشاء .

سار بجوارها فى الحديقة ، وهو يحاول أن يتجاذب معها أطراف الحديث قائلاً :

ـ هل تعرفين أن أخى الأكبر سيحضر إلى المنزل اليوم ؟

ـ أخوك !. آه تذكرت .. لقد أخبرتنى والدتك أن لديها

ابنا آخر يكبرك بعامين ، وأن عمله يرتبط بالسفر كثيرًا على مدار العام .

ـ نعم إنه رجل أعمال ناجح .. ربما ستجدينه حادًا بعض الشىء أحيانًا .. لكنه بصفة عامة إنسان عطوف ويتميز بالعديد من الصفات الطيبة ..

ـ من الواضح أن هذه الأسرة يجمعها الحب ، وترتبط بصلات وثيقة ، فمن حديثك عن أخيك يبدو أنك تقدره كثيرًا .

ـ إن صلتى بـ (محسن) بالفعل وثيقة للغاية .. فأنا لا أعده مجرد أخ .. بل هو صديق حميم .. وإن كان يحلو له بعض الأحيان أن يقوم بدور الأب .. ورب هذه الأسرة ، مما يضفى عليه مظهرًا يتجاوز عمره الحقيقى .

ارتبكت (عُلا) لدى سماعها هذا الاسم الذى أعاد إليها ذكريات حبها .

فعادت لتسأله قائلة :

ـ ماذا قلت ؟ ما هو اسم أخيك ؟

ـ (محسن) .. هل يذكرك هذا الاسم بشىء ؟

وقالت (عُلا) بدهشة :

ـ يا إلهى !. إن اسمك هو (فريد عبد السلام) .. أليس كذلك ؟

كانت الدهشة أكبر على وجه (فريد) .. الذى قال لها :

ـ نعم .. هل نسيت الاسم ؟

ـ واسم أخيك هو (محسن عبد السلام) .. كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟!

ـ أيعنى لك اسم أخى شيئًا ؟

ظلت (عُلا) صامتة لبرهة من الوقت ، وهى مازالت واقعة تحت تأثير المفاجأة ، ثم ما لبثت أن قالت بصوت خافت :

ـ لقد تعرفت أخاك فى الصيف الماضى .

قال لها (فريد) وقد ازدادت دهشته :

ـ حقًا ؟.. وكيف حدث هذا التعارف ؟

ـ لقد أنقذ ابن أختى من الغرق فى (الإسكندرية) .

ابتسم (فريد) قائلا :

ـ نعم إن (محسن) سباح ماهر .. ولكن يالها من مصادفة عجيبة !.

إذن مادام هناك تعارف مسبق ، فلابد أن تبقى معنا

حتى تلتقى به .. لابد أنه سيسعد بذلك .. خاصة عندما يعرف أنك تتولين أمر رعاية (مها) .

هزت (علا) رأسها وهى تحاول أن تنتشل نفسها من تأثير المفاجأة :

ـ كلا .. أعتقد أنه يتعين علىّ أن أنصرف الآن .

ـ ولكن .. لماذا ؟ من المنتظر أن يصل (محسن) بين وقت وآخر .. ولابد أنه سيسر للقائك .

ـ إننى مرتبطة بأمر هام .. ويتعين علىّ ألا أتأخر أكثر من ذلك .

لكن (فريد) ابتسم على إثر سماعه لهدير محرك سيارة تقف أمام باب المنزل قائلاً :

ـ لن تستطيعى الفرار .. فهاهوذا قد أتى .

ارتجفت (عُلا) بشدة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها .. وقد علا الشحوب وجهها .

فالماجآت تتوالى عليها بطريقة مذهلة .. وهاهى ذى تكتشف أنها قد جاءت إلى منزل الرجل الذى أحبته .. والذى دفعته إلى الابتعاد عنها .

ثم هاهى ذى تجده قادمًا نحوها .. دون أن تمنح أية فرصة للتفكير فى وقع هذه المفاجأة وتأثيرها عليه ..

ودون أن تمنح أية فرصة للهرب .. والاستعداد لهذا اللقاء الذى لم تتصور أنه سيحدث مرة أخرى .. وبهذه الطريقة الغريبة .

لقد مرت عليها أوقات كثيرة .. كانت تحلم خلالها بهذا اللقاء .

بل كانت تتمنى فقط لو أتيحت لها الفرصة لكى تراه مرة أخرى ..

لكن كل هذه الأفكار والآمال بقيت فى دائرة الأحلام .. لذا فلم تستطع أن تمنع هذه الرجفة عن جسدها ، عندما وجدت أنه يتعين عليها أن تلتقى به فى الواقع .

إن مزيجًا من المشاعر المتناقضة يجتاحها الآن .

فقد تجدد شوقها لرؤيته .. ولهفتها لسماع صوته ، فى نفس الوقت الذى تشعر فيه بالخوف من هذا اللقاء ومن عواقبه .

إن أملها فى أن تراه ، قد تحول إلى رغبة فى الهرب من هذا اللقاء ..

وقف (فريد) يلوّح له بيده .. وفعل (محسن) نفس الشىء وهو يغادر السيارة مبتسمًا .. ثم تقدم نحوهما وهو مستمر فى التلويح لأخيه .

لكن مالبث أن تراخت يده .. وحلت الدهشة محل الابتسامة على وجهه .. حينما تبين له أن هذه الفتاة التى تقف بجوار أخيه .. هى (عُلا) .

أحست (عُلا) بارتباك شديد .. وبدا لها وكأن خفقات قلبها قد أصبحت مسموعة .

تقدم (محسن) بخطوات بطيئة فى اتجاههما ، ومازال ذلك التعبير مرتسمًا على وجهه .. وأصبح اللقاء حتميًا .. ولا مفر منه .

* * *



٩ - لا تعودى لحياتى ..

قال له (فريد) بلهجة مرحة :

- لقد غبت عنا طويلا هذه المرة .. خمسة عشر يومًا كاملة .. لابد أن فتيات (فرنسا) هن السبب وراء ذلك .

لكن (محسن) بدا غير منتبه تمامًا لما يقوله أخوه .. بل ظل يحدق فى (عُلا) ، وعلامة استفهام كبيرة على وجهه .. ما لبثت أن تحولت إلى ملامح متجهمة ..

لاحظ (فريد) ذلك .. فقال وهو ما زال محتفظًا بلهجته المرحة :

- آه .. نسيت أنكما قد تعارفتما من قبل .. تخيل أننى لم أعرف ذلك إلا الآن .. وقبل لحظات قليلة من وصولك ، إذن فلا داعى لكى أقدمكما لبعضكما .

سألها (محسن) قائلا :

- ماذا تفعلين هنا ؟

وازداد ارتباكها وقد أحست بأنها عاجزة عن الكلام .

بينما تدخل (فريد) قائلاً :
- (محسن) .. ما هذه اللهجة ؟ إن (عُلا) فى ضيافتنا .
وأخيرًا وجدت فى نفسها القدرة لكى تتحدث .. وإن بدت تحاول التحكم فى نبرات صوتها المرتعش قائلة :
- حمدًا لله على سلامتك وعودتك من (أوربا) .
لكنه عاد ليسألها بجفاء قائلاً :
- إنك لم تجيبى عن سؤالى .
وبدا (فريد) غاضبًا وهو يقول له بلهجة محذرة :
- (محسن) !
لكنها سارعت لتقول وقد أحست بأنها أصبحت أكثر قدرة على التحكم فى نفسها :
- لقد التقيت بأسرتك مصادفة منذ ثلاثة أسابيع على نفس الشاطئ الذى التقينا فيه من قبل .
وعندما علمت والدتك بأننى أعمل فى مدرسة للتلاميذ الذين يعانون من القصور العقلى ، طلبت منى أن أتولى تعليم (مها) وإعادتها مرة أخرى لمواصلة دراستها .
قال لها بلهجة تهكمية :
- لم أكن أعلم أن المدرسة التى تعملين بها خاصة

بهؤلاء الأطفال .. لم تخبرينى بشىء من هذا عندما التقينا من قبل .
- إنك لم تسألنى .
- وكيف كان يتسنى لى أن أسألك عن شىء لا أعرفه ؟ هناك أشياء كثيرة لم يتسن لى أن أعرفها عنك خلال الفترة القصيرة التى تعارفنا فيها .
قال (فريد) :
- إن (عُلا) تحقق نجاحًا مطردًا مع (مها) . وقد استطاعت أن تجعلها تحبها فى وقت قصير .. وأصبحت (مها) متعلقة بها كثيرًا .
قال ساخرًا :
- نعم .. أعرف أن لديها هذه الموهبة .
قال (فريد) موجهًا حديثه إلى أخيه :
- إننى لا أعرف ما الذى انتهى إليه تعارفكما ؟ .. لكن لا يعجبنى هذا اللقاء غير الودى من جانبك .
- لا تشغل تفكيرك بذلك .. إننى فقط مرهق من أثر السفر .. أين والدتنا ؟
- إنها بالداخل .. لم نكن نتوقع أنك ستحضر الآن .
- حسن .. سأذهب إليها .

قال ذلك وقد استدار متجهًا إلى الفيلا .. بينما قالت (عُلا) :

- وأنا سأنصرف .

قال (فريد) :

- كلا .. لابد أن تبقى معنا قليلاً .

- معذرة .. ولكنى مضطرة للانصراف .. لقد أخبرتك أن لدى ارتباطًا .

- إذن سآتى معك لأوصلك .

- لاداعى لذلك .

- بل إنى مصرّ على ذلك .

- ولكن يجب أن تبقى مع أخيك الذى لم تره منذ خمسة عشر يومًا .

- إننا معتادون ذلك .. وسوف نقضى معًا وقتًا طويلا بعد عودتى .

وفى الطريق سألها (فريد) وهو يقود سيارته قائلاً :

- أرجو ألا تكون الطريقة التى حادثك بها (محسن) قد أساءتك .. إنه كما قلت لك يبدو أحيانًا حادًا بعض الشىء .. ولكن هذه ليست طبيعته ..

ثم استدرك قائلا وكأنه يستحثها على الحديث :

- ولماذا أقول لك ذلك ؟ لقد عرفته من قبل ولابد أنه قد تبين لك ذلك .

- إنه على كل حال لم تصدر عنه أية إساءة .. لقد فوجئ بوجودى فى منزلكم ، وكان عليه أن يستفسر عن ذلك .. كما كان لابد أن يبدو متأثرًا بالمفاجأة .

- أعتقد أن الأمر ينطوى على ما هو أكثر من ذلك .. فقد أحسست للحظة أن هناك جفوة بينكما .. على الأقل من جانب (محسن) .. ولا أعرف السبب وراء ذلك .

- لقد كان (محسن) صديقًا لنا .. أقصد (كمال) زوج أختى وأختى وأنا طوال فترة المصيف فى العام الماضى ، إلى أن فرقت بيننا الظروف .. فقد سافر إلى عمله كما سافرت أختى وزوجها إلى (السعودية) ، فى حين عدت أنا إلى (القاهرة) .

- لقد بدا لى وكأنه يبدو متحاملا عليك .

- لماذا لا نطرح ذلك الأمر جانبًا ؟

- على كل حال أرجو ألا يكون لذلك أى تأثير فى علاقتك بنا .

- بالطبع .. فلم يحدث شىء يستوجب ذلك .

- إذن .. هل ستحضرين إلى الفيلا بعد غد ؟

- بالتأكيد .

وانفرجت أساريره قائلاً :

- ونحن سنكون بانتظارك .

وما إن انفردت (عُـلا) بنفسها داخل شقتها حتى بدأت تستعيد أحداث اليوم ومفاجآته الغريبة .

لقد كان لديها إحساس بأنها لن تموت قبل أن ترى (محسن) مرة أخرى .. وكانت خشيتها من هذا اللقاء بقدر اشتياقها إليه .

لكنها لم تكن لتتخيل أنها ستلتقى به على هذا النحو .. ووفقًا لهذا الترتيب الغريب للقدر .

نعم .. القدر .. إنه يفعل الأعاجيب .

فمن بين كل المصطافين على الشاطئ .. كان قدرها أن تلتقى بهذه الطفلة وأسرتها .. وأن يكون هذا اللقاء بداية معرفة وثيقة .. تؤدى إلى دعوتها إلى منزلهم وتوليها أمر رعاية الطفلة .. لتكتشف فى النهاية أن (محسن) هو أحد أفراد هذه الأسرة .. ويأتى هذا الاكتشاف فى نفس اليوم الذى يعود فيه من رحلته (لأوربا) ، لتتوالى المفاجآت بسرعة مذهلة .. ويأتى لقاؤهما على هذا النحو الدرامى .

لماذا ينكرون على بعض الروايات وقوع مثل هذه المصادفات القدرية الغريبة ؟ مع أن الواقع يؤكد أنها تحدث أحيانًا ، وبصورة ربما تفوق خيال أى مؤلف كما حدث معها اليوم .

وتمددت على فراشها وهى تستعيد ملامحه .. ملامحه التى لم تنسها قط .

لقد بدا وجهه مرهقًا بعض الشىء ، وبه شىء مختلف عما رأته عليه فى العام الماضى .. لكن عينيه النافذتين لم تفقدا بريقهما .

لقد عاملها بقسوة وجفاء .. وهذا شىء كان يتعين عليها أن تتوقعه بعد النهاية التى اصطنعتها لإنهاء علاقتهما .

لكنها لم تتوقع أن يكون قاسيًا معها إلى هذا الحد .

كانت بحاجة إلى أى لفتة .. أو إيماءة تدل على أنه مازال يحمل شيئًا من الحب الكبير الذى أحبه لها .. شيئًا يشعرها بأن عاطفته نحوها لم تجف تمامًا .

ولكن لماذا تبحث عن مثل هذه الأشياء .. وهى التى سعت لإطفاء مشاعره نحوها .. وإبعاده عن حياتها ؟

لقد اختارت أن تضحى بحبها من أجله .. ومن أجل ألا يربط حياته بحياة فتاة تصارع الموت .. الذى ألقى بظلاله عليها .. وما دامت قد اختارت القيام بدور البطولة ، فعليها ألا تتخلى عنها وأن تتحمل كل تبعاتها .

لكن .. لا .. يجب أن تكون صادقة مع نفسها .. فلم يكن ما فعلته بمثابة تضحية حقيقية ، أو بطولة كما تحاول أن توهم نفسها .

كان تصرفًا لابد منه لفتاة فرصتها فى الحياة ضئيلة .. ولا ترى جدوى من الاستسلام لعاطفة قوية .. وحب جارف .. تعرف أنها ستفقده قريبًا .. وكلما اندفعت فى تياره .. كلما أضاف ذلك لآلامها الجسدية والنفسية آلامًا أخرى ، حينما تحين ساعة الفراق .. ولم تكن بحاجة إلى المزيد من الألم .

لقد أرادت أن تنأى بنفسها عن المزيد من مشاعر الأسى والحزن .

كما أرادت أن تبقى فى مخيلته تلك الفتاة الجميلة التى كان مفتونًا بها .. دون أن يراها فى تلك الحالة المزرية ، التى كانت عليها أمها فى المراحل الأخيرة لهذا المرض .

وفضلت أن تحتفظ بمشاعر الحب القوية ، التى عاشتها معه خلال الفترة القصيرة التى عرفته فيها ، ماثلة أمامها حتى الرمق الأخير .. دون أن تراها وقد تبدلت لتتحول إلى شفقة وعطف .

هذا هو ما أرادته .. من أجل نفسها أولا ، قبل أن يكون من أجله .

ولكن أين مشاعر الحب القوية التى أرادت أن تبقى عليها فى مخيلته ومخيلتها ؟

إنها لم تر شيئا منها فى عينيه .

لقد حلت محلها نظرة تعبر عن الازدراء والكراهية .

وأعادت (غلا) الكلمة على مسامعها قائلة :

- الكراهية !.. أيمكن أن يكون (محسن) قد أصبح الآن يكرهنى ؟

هل يمكن أن يتحول الحب إلى كراهية ؟

ولم لا ؟.. إننى فى نظره الآن .. إنسانة خائنة .. الفتاة التى أحبها وتعاهدا على الإخلاص والوفاء .. لكنها خانت حبه ولم ترع إخلاصًا أو وفاء .. لو عرف أننى لم أتخل عن هذا الحب قط .. وأنه كان الشمعة الوحيدة التى ظلت مضاءة فى أعماقى وقت أن انطفأت كل الشموع الأخرى .. بعد أن علمت بحقيقة مرضى .

لقد أظلمت حياتى كلها وقتها .. وفقدت إحساسى بأى شىء كنت أتعلق به فى هذه الدنيا .

فجأة أصبحت كل المعانى جوفاء .. وكل الطموحات والآمال بلا معنى .. الحياة بأسرها لم تعد تساوى شيئًا .

إلا حبى لـ (محسن) .. كان هذا الحب هو الشمعة الوحيدة التى لم تنطفئ فى ظلمات نفسى .. وظلت تنير جزءًا من أغوار تلك النفس التى باتت تتأهب للموت .

ليتك تعرف يا (محسن) .. وليتنى كنت أستطيع أن أعرفك .

وقالت لنفسها مرة أخرى :

ـ ولمَ لا ؟ لقد أُجريت الجراحة .. وفرصتى الآن فى التخلص من هذا المرض أصبحت أفضل من ذى قبل .

لقد أخبرنى الطبيب بذلك .. إننى أعالج منذ ما يقارب العام علاجًا كميائيًا ناجحًا .. والدكتور (أحمد) بنفسه أكد أننى قد تجاوزت أكثر من ٩٥٪ من مرحلة الخطر .

لكنها استدركت قائلة :

ـ لكن لا شىء مؤكد بالنسبة لهذا المرض .. ولا أستطيع أن أؤكد شفائى إلا إذا شفيت فعلاً .

* * *

سأل (محسن) أمه قائلاً :

ـ متى تعرفتما هذه الفتاة ؟

وسارع أخوه بالإجابة قائلاً ؟

ـ كما أخبرتك هى منذ ثلاثة أسابيع .

سألته أمه قائلة :

ـ لماذا تبدو غير مرحب بها ؟

لكنه تجاهل السؤال قائلاً :

ـ ثلاثة أسابيع فقط .. وتسمحان لها بأن تأتى إلى المنزل وتتولى أمر الإشراف على (مها) ؟

سأله (فريد) :

ـ وماذا فى ذلك ؟

ـ كان ينبغى ألاّ تكونا شديدى الثقة بالناس هكذا .. خاصة بالنسبة لفتاة غريبة التقيتما بها على الشاطئ منذ بضعة أسابيع .

ـ إنك فيما أعلم صرت صديقًا لها ولأسرتها خلال فترة زمنية أقل من هذه .

نظر إليه (محسن) قائلاً :

ـ هل أخبرتك بذلك ؟

ـ نعم .. كما أخبرتنى أنه كان لك الفضل فى إنقاذ ابن أختها .

قال له وفى صوته مزيج من التهكم والمرارة :

ـ ألم تخبرك بشىء آخر ؟

ـ إن كان لديك شىء آخر يجعلك متحفظا هكذا بالنسبة لها .. فقله .

ـ إننى أتحدث عن التساهل فى إحضار الغرباء إلى المنزل .

ـ إنها لم تعد غريبة بالنسبة لنا .. فكلنا نحترمها ونقدرها ، سواء أنا أو أمى .. وحتى (مها) الصغيرة أحبتها .

كما أنها تأتى إلى هنا للإسهام فى علاج أختك .

ـ لقد كنت أنوى اصطحاب (مها) معى إلى إحدى المؤسسات العلاجية المتخصصة فى التعامل مع مثل حالتها فى الخارج .. خلال رحلتى القادمة .

ـ إن العمل الذى تؤديه (عُلا) هنا معها أفضل من أى علاج آخر فى الخارج .

ـ وما الذى يجعلك واثقًا هكذا ؟ ماذا تزيد هذه الفتاة عن غيرها من المدرسات الأخريات ، اللاتى كن يتعاملن

معها فى المدرسة ؟.. واللاتى أحضرنا بعضهن إلى المنزل ؟. لقد فشلن جميعًا فى تحسين حالتها .

ـ أما (عُلا) فإنها تحقق نجاحًا ملحوظًا .. لأنها تتعامل مع أختنا بطريقة تختلف عن الأخريات .. لقد نجحت فى أن تجعلها تحبها .. ولديها أسلوب فى التعامل معها يختلف عن غيرها من المعلمات .

ـ هل أصبحت محاميًا لها فى هذا المنزل ؟

ونظر إليه نظرة ثاقبة وهو يردف قائلاً :

ـ قل لى .. هل أصبحت مفتونًا بهذه الفتاة ؟

قال له (فريد) بتحدٍ :

ـ ألديك مانع ؟

ـ بل لدىّ ألف مانع .. انظر إلى مركزك الاجتماعى ومركزها على الأقل .

قال (فريد) وهو مستمر فى تحديه :

ـ أعتقد أن هذا من شأنى .

وتدخلت الأم وقد لاحظت التوتر القائم بينهما قائلة :

ـ ما الذى دهاكما ؟ أتختلفان على أمر لايستوجب الخلاف ؟

صاح (فريد) قائلاً لأخيه :

ـ إننى لا أدرى لماذا تتحامل عليها هكذا ؟
صاحت الأم قائلة لابنها :
ـ فلينته الأمر عند هذا الحد .
ثم التفتت لـ (محسن) قائلة بلهجة حازمة :
ـ أنا التى دعوت هذه الفتاة إلى منزلى .. وقد وجدت أنها تقوم بعملها على الوجه الأكمل .. ويمكنها مساعدة أختك فى تحسين حالتها .
لذا فسوف تبقى معنا بقية أشهر الصيف لإتمام عملها .. قبل اصطحاب (مها) إلى المدرسة .
وأنا أقدرها .. وأثق بها حتى هذه اللحظة .. فإن كان لديك ما يتعارض مع هذا التقدير وهذه الثقة .. فقله أو لتصمت .
وأطرق (محسن) دون أن يقول شيئًا .. ثم ما لبث أن غادر الردهة .
كان غاضبًا على نحو أعجزه عن النوم .. فأخذ يدور فى حجرته وهو لا يدرى كيف يمكنه أن ينفّس عن غضبه .
وما لبث أن وجد باب الحجرة يفتح ، وقد أطلت من ورائه الطفلة الصغيرة ، وهى ترمقه بنظرات مختلسة .

كانت نظراتها الحائرة البريئة هى البلسم الشافى لمشاعره الثائرة .. فما لبثت أن هدأت نفسه وهو ينظر بدوره إلى تلك الطفلة المسكينة .
وارتسمت ابتسامة حنون على وجهه وهو يناديها قائلاً :
ـ حبيبتى (مها) .. تعالى .
فتح لها ذراعيه وهو يجثو على ركبتيه ، فى حين ظلت الطفلة على طبيعتها المترددة لبرهة من الوقت .
ثم ما لبثت أن اندفعت لترتمى فى أحضانه .. حيث حملها بين ذراعيه وهو يقبلها بحنان بالغ .. قائلاً :
ـ لقد افتقدتك كثيرًا .
ثم سألها وهو يجلسها إلى جواره :
ـ هل تعرفين ما الذى أحضرته لك معى من الخارج ؟ انتظرى لحظة لترى .
تطلعت إليه الطفلة بعينين نهمتين .. فقد اعتادت على أن يحضر لها أشياء كثيرة وجميلة فى كل مرة يسافر فيها إلى الخارج .
تناول (محسن) حقيبة جلدية مغلقة من دولابه وفتحها فوق فراشه قائلاً :
ـ انظرى .. ما رأيك ؟

كانت مجموعة من الدمى الجديدة .. وبعض أنواع من الشيكولاتة والحلوى الفاخرة .

ابتسمت الفتاة وأقبلت على هدية أخيها بفرح .

كادت أن تأكل الشيكولاتة بغلافها .. لكنه فض الغلاف قائلا :

ـ كلا .. هكذا يمكنك أن تأكليها .

تأملها وهى تأكل الشيكولاتة .. وقد بدا عطفه الأخوى واضحا فى عينيه .

وما لبث أن سألها قائلا :

ـ لقد سمعت أنهم قد أحضروا لك معلمة جديدة .

قالت له (مها) وهى تمسح آثار الشيكولاتة من فوق فمها قائلة :

ـ نعم .. إنها تلعب معى بالدمى .. وتطلعنى على صور جميلة .. سوف تفرح عندما ترى هذه اللعب الجديدة .

عاد ليسألها قائلا :

ـ هل تعاملك معاملة طيبة ؟

ـ نعم .. إنها طيبة جدًا معى .

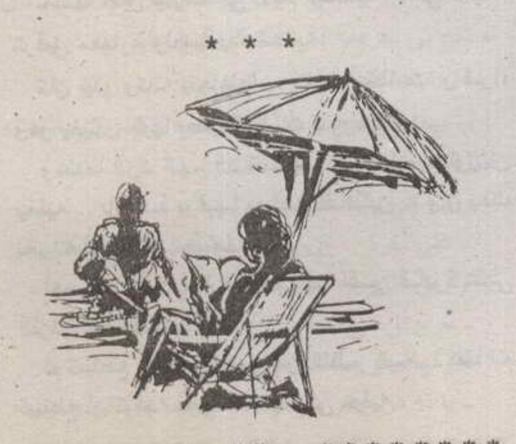
ـ هل تحبينها ؟

ـ إننى أحبها كثيرًا .

وانتابته حالة من الشرود وهو يفكر قائلا :

ـ إذن فقد نجحت هذه الفتاة المخادعة فى الاستحواذ على قلوب الجميع هنا .. وتمكنت بذكاء من أن تجعلهم يحبونها .. تمامًا كما فعلت معى من قبل .. ترى ما الذى تدبره من وراء ذلك ؟ وأى هدف تبتغيه من وراء الحضور إلى هذا المنزل ، والتأثير على أسرتى بحجة تعليم (مها) ؟

* * *



١٠ - ارحم آلامى ..

جلست (عُلا) مع (مها) فى الحديقة تلقنها كتابة بعض الكلمات .. وقد بدا أنها تبذل جهدًا كبيرًا فى هذا الشأن .. إذ إن الطفلة لم تكن تتجاوب معها بسهولة .

لمحته وهو يتولى العناية ببعض أزهار الحديقة .. ولم تستطع أن تمنع نفسها عن النظر إليه .

تملكها حنين جارف إلى الأيام الماضية .. إلى حديثه الرقيق معها .. ولمسة يده الحانية .

كان يبدو وكأنه يتجاهلها .. لكنها استطاعت أن تراه وهو يختلس إليها بعض النظرات بدوره .

وعندما أدرك أنها قد اكتشفت ذلك ، لم يحاول أن يخفيه .. بل أخذ يرقبها بعينيه النافذتين .. وإن بدت نظراته قاسية إلى حد ما .

أحست (عُلا) بارتباك جعلها غير قادرة على التركيز مع الطفلة .

لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إليه .. كما لم تستطع أن تواجه نظرات الاتهام فى عينيه .

وأخيرًا تخلت (مها) عن الكتابة وانطلقت تلهو وراء إحدى الفراشات .

نادتها (عُلا) لكى تعود .. لكن تعلقها بالفراشة ذات الألوان المتعددة كان أقوى .

وهمّت (عُلا) بمتابعتها .. لكنها وجدته واقفًا أمامها يعترض طريقها .

سألها بجفاء قائلاً :

- لم أكن أعرف أنك تدرسين للأطفال المتخلفين عقليًا .

- لقد أخبرتك أننى أعمل فى التدريس من قبل .. لكن لم تتح لى الفرصة لكى أخبرك بنوع عملى .

قال لها بلهجة ساخرة :

- يبدو أنه لم تتح لك الفرصة لتخبرينى بأشياء كثيرة .. مثل خطبتك لذلك الدكتور .

ونظر إلى يدها قائلاً :

- على فكرة .. أين خاتم الخطبة ؟ كان من المفروض أن تكونى متزوجة الآن ..

- لم نوفق فى الاستمرار معًا .

قال لها وهو مستمر فى سخريته :

- يا له من أمر مؤسف .. ترى ما هو السبب وراء

ذلك ؟ أيكون هو الذى قرر إنهاء الأمر بينكما ؟ أم أنك وجدت شخصا ثالثًا أفضل منه ، فقررت إنهاء الخطبة من أجله .. إننى أعرف أن هذا أمر سهل بالنسبة لك .

- (محسن) .. من فضلك لا داعى لمثل هذا التجريح .

- إنه أهون بكثير من الجرح الذى خلفته لى .. فما زلت أتساءل حتى اليوم عن السر وراء تحولك السريع هذا .

وإذا كان ذلك الرجل موجودًا فى حياتك من قبلُ ، فلم جعلتنى أحبك ؟ .. بل إننا كنا على وشك أن نتزوج .

أمن المعقول أن هذا الطبيب قد ظهر فى حياتك فجأة وبلا مقدمات ؟ ولماذا فضلته علىّ ؟

أكانت كل كلمات الحب والآمال التى خططناها معًا ، نوع من الخداع والزيف ؟

أكان ادعاؤك بالسفر إلى (القاهرة) وإخفاء وجودك عنى فى (الإسكندرية) تمهيدًا لإعلانى بخبر خطبتك المفاجئة ؟ .. أم أنك خشيت أن تواجهينى بخيانتك ، ولم تكن لديك الشجاعة لتعلنينى بالحقيقة ؟

قالت له (عُلا) بصوت خافت :

- (محسن) .. دعنا لا نتحدث عن الماضى .. فلتنس

أنك قد عرفتنى فى هذه الفترة من الزمن .. ولتمح أية مشاعر ربطت بيننا فى العام الماضى من ذاكرتك .

قال لها بمرارة ساخرة ؟

- هكذا .. بكل هذه البساطة ؟

- سيكون هذا أفضل لكلينا .

- اطمئنى يا عزيزتى .. لقد نسيتك بالفعل .. واستطعت أن أمحو أية مشاعر ربطتنى بك من ذكرياتى ، دون حاجة لكى تقولى لى ذلك .

لكننى لن أنسى غدرك وخديعتك .. وكيف أنك مثلت علىّ الحب والإخلاص ببراعة نادرة .

إنه الدرس الذى لم أكن أظن أننى سأتلقاه من أية امرأة .

فقد خيل لى فى وقت من الأوقات أننى قد خبرت الحياة على نحو يجعلنى على دراية تامة بشئون النساء .. وأننى آمن تمامًا من مكرهن .. ولكنى اكتشفت على يديك أنه يتعين على الرجل ألا يثق دائمًا بقدراته على هذا النحو المبالغ فيه .

فقد يقوده القدر إلى تعرف فتاة تكون بارعة فى التمثيل ، فتظهر أمامه من البراءة والحب ما يوحى له

بأنها تكاد تقارب الملائكة .. وأنه يستطيع أن يضع ثقته وآماله وأحلامه فيها .

ثم يكتشف فى النهاية أنه كان مخدوعًا وواهمًا .

بكت (عُلا) قائلة :

- (محسن) .. لا تكن قاسيًا علىَّ هكذا .

قال لها بسخرية :

- قاسيًا .. وما الذى تعرفينه أنت عن القسوة ؟

وأمسك بذراعها قائلا :

- لقد طرحت عليك عددًا من الأسئلة .. فلماذا لا تجيبين عنها ؟ لماذا هجرتنى ؟ ولماذا جعلتنى أحبك ؟

نزعت ذراعها من أصابعه التى تركت آثارها عليها قائلة :

- قلت لك .. لا تسألنى عن شىء ..

قال لها محاولاً السيطرة على انفعالاته :

- ولكن أعتقد أن من حقى أن أسألك عن سبب وجودك فى هذا المنزل .

- إننى هنا من أجل (مها) .

- وهل تظنين أنك تستطيعين إقناعى بذلك ؟

- إننى لست بحاجة لإقناعك بذلك .. هذه هى الحقيقة بالفعل .

- ولماذا (مها) من بين جميع الأطفال الآخرين ؟

- لأن الظروف هى التى جعلتنى ألتقى بها وألمس حالتها عن قرب .

- ثم تأتين إلى منزلنا تحت هذا الادعاء ، وتتظاهرين بأنك لم تكونى تعرفين أننى أحد أفراد هذه الأسرة .. أليس كذلك ؟

- ولماذا أدعى ذلك ؟ .. هذا هو ما حدث .. فلم أكن أعرف أنك الأخ الأكبر لـ (مها) إلا منذ يومين فقط .. وقبل وصولك بفترة قصيرة .

- تبرير لا يصدقه إنسان ساذج .

- (محسن) .. لقد نلت منك كفايتى .. إذا لم تكن تريد أن آتى إلى هذا المنزل فلن آتى بعد اليوم .

وفى تلك اللحظة وجدت (عُلا) الطفلة الصغيرة تتعلق بثوبها ، وفى عينيها نظرات خوف أخذت تنقلها ما بين أخيها وبينها .

سارعت (عُلا) لإخفاء انفعالاتها وهى تتناول يد الفتاة الصغيرة قائلة :

- أتريدين شيئا يا حبيبتى ؟

قالت لها بكلمات متقطعة :

- لا أريد .. أن .. تتركينى .

صمتت (غلا) لبرهة .. ثم اصطحبت الطفلة معها قائلة :

- هيا بنا لنراجع دروس الأمس .

بينما وقف (محسن) يرقبهما وقد تنازعته مشاعر متناقضة .

سألته أمه قائلة :

- ما السر الذى تخفيه بشأن هذه الفتاة ؟

- أى سر ؟

قالت له وهى ترمقه بنظرة ثاقبة ؟

- السر الذى جعلك لا ترحب بوجودها هنا .

- لا توجد أية أسرار .. كل ما هنالك أننى غير مستريح لوجودها..

- لا يمكن أن يكون ذلك بلا أسباب .

- كل ما هنالك أننى أعتقد أنها لا تصلح لتولى الإشراف على (مها) .. وكنت أفضل اصطحابها إلى مؤسسة متخصصة فى ذلك الشأن .

- لكن (غلا) متخصصة بالفعل .. ولديها كافة المؤهلات العلمية التى تؤهلها لذلك .. كما أنها استطاعت فى فترة وجيزة أن تكسب ثقة وحب أختك ، وهذا ما قد تعجز المؤسسات المتخصصة عن القيام به .

- إنها معلمة وليست طبيبة .. و(مها) بحاجة إلى رعاية طبية وتعليمية فى نفس الوقت .

- إن الطب لن يستطيع أن يضيف إليها جديدًا .. هل نسيت أننا عرضناها على أكبر المتخصصين فى مصر والعالم ؟!

وكلهم أجمعوا على أن ما تحتاج إليه (مها) فى المراحل القادمة هو الرعاية النفسية والاجتماعية .

وعادت لترمقه بنظراتها الثاقبة وهى تردف قائلة :

- ولا أظن أن هذا هو السبب الحقيقى الذى يجعلك ترفض وجود هذه الفتاة هنا .. إننى أمك ولن تستطيع إخفاء الأمر علىّ .

- إننى لا أخفى شيئا .

- حسن .. إننى لن أضغط عليك .. ولكن إذا وجدت أن هناك ما يستدعى أن تقوله بشأنها .. فيتعين عليك أن تقوله بأسرع ما يمكنك .. فربما وجدت فيما تقوله

سببًا مقنعًا يجعلنى أتوقف عن استقبالها فى منزلى .. خاصة وأننى أرى أخاك يميل إليها .

التفت إليها فى حدة قائلاً :

ـ هل رأيت شيئًا محددًا يجعلك تتأكدين من ذلك ؟

ـ كلا .. ولكن تصرفاته ونظرات الإعجاب فى عينيه نحوها توحى بذلك .

ـ هذا ما لاحظته أنا أيضًا .

ثم استدرك قائلاً :

ـ هل رأيت منها ما شجعه على ذلك ؟

ـ فى الحقيقة لم أر منها ما يوحى بهذا التشجيع .. إن الفتاة كما أرى تتميز بأخلاق عالية لا غبار عليها .

ـ إن فى هذا على أية حال ما يوجب إبعادها عن المنزل .

ـ إذا كان هذا ما يقلقك فإننى أستطيع التحكم فى الأمر .. خاصة وأن ابنة خالتك ستأتى إلى منزلنا غدًا قادمة من (الإسماعيلية) .. وأنت تعرف الروابط القديمة التى تربط بين (فريد) و(جيهان) .. وربما أمكن فى خلال الأسبوع الذى ستقضيه (جيهان) معنا هنا إحياء مثل هذه الروابط مرة أخرى .. ودفع (فريد)

للاقتران بها كما كنا نتمنى .. وسوف ينهى هذا الأمر بالنسبة لـ (عُلا) .

ـ إنك تتحدثين وكأنك واثقة من كل الترتيبات .

ـ إذا لم يكن هناك ما يقلقك بشأن هذه الفتاة عدا ما ذكرته .. فلا تحاول إفساد العمل الذى تقوم به هنا .

إننى لن أتوانى عن القيام بأى جهد وتقديم أية مساعدة ، للتخفيف من أعراض القصور العقلى الذى ابتلت به ابنتى ..

نظر إليها (محسن) ، وفى عينيه نظرة اتهام قائلاً :

ـ ومن المسئول عن ذلك ؟

ثم غادر الحجرة منصرفًا ، فى حين تهالكت الأم فوق مقعدها وهى تنخرط فى بكاء حار .

إن (محسن) لا يتوانى عن تذكيرها كلما واتته الفرصة ، بأنها المسئولة عما أصاب ابنتها من تخلف عقلى .

وأنها لولا اهتمامها البالغ بضيوفها فى هذه الليلة المشئومة ، لما تمكنت (مها) من ترك حجرتها ، والتسلل إلى الشرفة لتهوى من فوقها إلى الأرض ، ويحدث لها ما حدث .

كان لا يفتأ يقول لها من آن لآخر ، إنه لولا إهمالها فى رعاية ابنتها واهتمامها الشديد بإقامة الولائم والحفلات ، لما حدث لها ما حدث .. ولعاشت حياتها كأى فتاة عادية .. بدلاً من تلك العاهة التى ستصحبها طوال حياتها .

ولم تكن بحاجة لمن يحملها وزر ما حدث .. لقد حملت هى نفسها المسئولية بأكثر مما تتحمله أية أم أخرى .

كم بكت الليالى الطوال .. وكم وجهت لنفسها الاتهامات .. وكم بذلت من جهد وسعى وراء الأطباء والمستشفيات المتخصصة .

لقد توقفت عن إقامة أية حفلات أخرى فى منزلها .. بل توقفت عن ممارسة حياتها الاجتماعية السابقة التى اشتهرت بها .

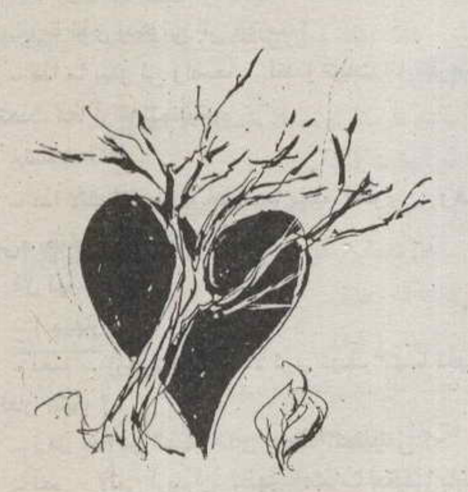
لم يعد يعنيها فى الدنيا سوى رعاية ابنتها ، والعمل على تقديم أية مساعدة يمكن أن تخفف آثار ما حدث لها .

إنها حتى لم ترض أن تسلم بأن ما حدث لها كان شيئا قدريًا .. بل حملت ومازالت تحمل نفسها المسئولية كاملة .

فلماذا يحملها (محسن) الذنب بأكثر مما تحتمل ؟ . ولماذا يحاول أن يعذبها دائما بتذكيرها بما حدث .

ليته يرحمها .. ويتوقف عن ذلك .. ويعرف أنها كأم لم تعد بحاجة إلى المزيد من العذاب والندم .

* * *



١١ ـ لن أحب سواك ..

سألها (فريد) قائلاً :

ـ لماذا تحاولين الهرب منى دائمًا ؟

أجابته قائلة بحرج :

ـ وما الذى يدعونى إلى الهرب ؟

ـ هذا ما يبدو لى واضحًا .. فكلما أتيحت لنا الفرصة لنتحدث معًا أراك تتجنبيننى .

ابتسمت قائلة :

ـ هذا لأنك تظهر ودًا أكثر مما يجب نحوى .. وهذا شىء يضايق ابنة خالتك .

قال لها متبرمًا :

ـ (جيهان) ؟

ـ نعم .. (جيهان) .. ألا ترى كيف أنها تحبك وتغار عليك ؟

ـ وهل هذا هو السبب الذى يجعلك تتجنبيننى ؟

ـ نعم .. لأننى أريد أن تظهر اهتمامًا حقيقيًا بابنة خالتك .

ـ أهذا هو السبب الوحيد ؟

ـ أتظن أن هناك سببًا آخر ؟

ـ إننى ألاحظ اهتمامك بـ (محسن) ، منذ عودته .

قالت له بنبرة غاضبة :

ـ ماذا تعنى بذلك ؟

ـ أنا الذى أسألك .. أريد أن أعرف ما مدى العلاقة التى ربطت بينك وبين (محسن) ، عندما تعارفتما فى (الإسكندرية) ؟

ـ إن طريقة توجيهك للسؤال لا تعجبنى .

ثم نهضت قائلة :

ـ معذرة .. فـ (مها) فى انتظارى .

ـ هل تبحثين عن عذر للتهرب منى مرة أخرى ؟

قالت له بحدة :

ـ أستاذ (فريد) .. أنا لم آت إلى هنا لمجالستك .. بل جئت من أجل تعليم (مها) ..

قال لها هامسًا وهو يمسك رسغها :

ـ (عُلا) .. أنا أحبك .

ـ ليتك تتوقف عن مثل هذه الكلمات .. إن ابنة خالتك

تكن لك عاطفة قوية .. وهى فتاة جميلة ورقيقة وتناسبك من كل الوجوه .

كما أن الجميع هنا يأمل فى أن تكون زوجتك .. وأرى أنك ستكون محظوظا لو وافقتهم على ذلك .

ـ لكنى لا أحبها .. بل أحبك أنت .

ـ هذا خطأ .. لقد رأيتك وأنت تتحدث معها .. لقد بدا لى أنكما متفقان فى الكثير من الآراء ، وأن بينكما العديد من الأمور المشتركة .

ـ التفاهم وحده لا يخلق الحب .

ـ هذا إذا أصررت على أن توصد قلبك أمام هذا الحب .

ـ أليس هذا هو ما تفعلينه معى ؟

ـ إننى لا أحمل لك سوى مشاعر الود والصداقة .. ويتعين عليك أن تحافظ على هذه المشاعر الجميلة .

ـ ألا يمكن أن تتطور هذه الصداقة إلى ما هو أكثر من ذلك ؟

بدت الإجابة واضحة فى عينيها ؟

إنها بالفعل لا تستطيع أن تحبه .. ولن تحب أحدا سوى (محسن) .. إنه الرجل الوحيد الذى استطاع أن يحرك مشاعرها .. ومازال هو الوحيد الذى يملك

مفاتيح قلبها .. هذه هى الحقيقة التى تدركها الآن أكثر من أى وقت مضى ..

وفى تلك اللحظة حضر (محسن) إلى الشرفة لرؤية (فريد) وهو يمسك ساعدها على هذا النحو .. فانفعل قائلا بغضب :

ـ ما معنى هذا ؟ ما الذى يحدث هنا ؟

نزعت (علا) رسغها من يد (فريد) ، والتفتت إلى (محسن) الذى توجه إليها بالحديث قائلا :

ـ كنت أظن أن مكانك الآن فى حجرة (مها) لتعطيها الدرس .. وليس فى هذه الشرفة ..

قالت له وهى تستدير مغادرة الشرفة :

ـ إننى فى طريقى إليها .

ـ كان يتعين عليك أن تفعلى ذلك منذ أن جئت إلى المنزل .

توقفت للحظة .. ثم استدارت إليه وعيناها مغرورقتان بالعبرات قائلة :

ـ حاضر يا أستاذ (محسن) .. سأتذكر ذلك فى المرة القادمة ..

ثم هرولت مغادرة المكان .

وتحدث إليه (فريد) منفعلاً وهو يقول :

ـ لماذا تحدثها دائمًا بهذه الخشونة ؟

استدار إليه (محسن) قائلاً فى حدة :

ـ وماذا كنت تنتظر منى ، وأنا أراك ممسكًا بيدها فى هذا المشهد الغرامى ؟

ـ هذا ليس من شأنك .

ـ بل من شأنى .. ألا تخجل من نفسك ؟.. تترك ابنة خالتك وقد جاءت لتقضى أسبوعًا معنا خصيصًا من أجلك .. وتجرى وراء تلك الفتاة .

ـ هذه الفتاة كانت صديقتك من قبل .

ـ هأنت ذا قد قلتها .. كانت صديقتى .. لقد كنت وحدى فى (الإسكندرية) .. وأردت أن أتسلى .. كنت بحاجة إلى رفيقة أقضى معها بعض الوقت .. وكانت (عُلا) هى رفيقتى ووسيلتى للتسلية .

وأمسك (فريد) بساعديه قائلاً بانفعال :

ـ كيف تجرؤ على أن تصفها بتلك الكلمات الرخيصة ؟ كيف طاوعك لسانك على أن تقول هذا عن فتاة .. فتاة .. تحبها :

نظر إليه (محسن) بدهشة .. قائلاً :

ـ أحبها .. كيف سمح لك تفكيرك أن تتخيل ذلك ؟

قال له (فريد) بانكسار :

ـ نعم .. تحبها .. ذلك واضح فى عينيك .. وفى كل تصرفاتك .. أنت تحب هذه الفتاة .. تحبها بشدة .

وهذه الخشونة التى تتصرف بها معها .. ليست سوى محاولة منك لإخفاء هذه الحقيقة .. الحقيقة التى ربما تحاول أن تخفيها حتى عن نفسك .

انتزع (محسن) ذراعيه من يدى أخيه قائلاً :

ـ إنك تتوهم أشياء كثيرة هذه الأيام .

نظر إليه (فريد) قائلاً :

ـ كلا .. يا أخى العزيز .. إنها ليست أوهامًا .. برغم أننى حاولت أن أقنع نفسى بذلك .. لكنى لم أنجح .. فالحقيقة كانت ماثلة أمامى كل يوم منذ عودتك ، على نحو لا يمكن إنكاره .

إنك تحب (عُلا) .. و(عُلا) تحبك .

لكنَ هناك سرًا خفيًا لا أدريه ، يقف حائلاً أمام هذا الحب الذى تفضحه أعينكما .

ـ أنصحك أن تنتزع هذه الأفكار من رأسك .

- ليتنى كنت أستطيع !.. لا تعتقد أننى سعيد بتقرير تلك الحقيقة .. فأنا أيضًا قد أحببت (غـلا) .

صاح فيه قائلا بانفعال :

- (فريد) .

لكن أخاه قال له بهدوء :

- اطمئن .. فهى لا تحب أحـدًا سواك .. لذا فسوف أنسحب بحبى من حياتها .. أما أنت فلا تدع شيئا يحول بينك وبين هذه الفتاة الرائعة .

إذا كنت تحبها فعلا .. فـلا تعاند نفسك .. ولا تكابر فى مشاعرك .

قال له (محسن) مستسلمًا وهو ينظر إلى الحديقة الممتدة أمامه :

- هذه الفتاة الرائعة التى تتحدث عنها .. كنت على وشك أن أتزوجها .. لكنها فاجأتنى بين يوم وليلة بأنها مخطوبة لشخص آخر .

أوهمتنى بقصة حب كبيرة عشناها معًا خلال أيام قليلة .. ثم اكتشفت أننى كنت أعيش أكبر خدعة فى حياتى .. وأننى خدعت كشاب غرير ساذج ، بين براثن

فتاة تفاضل بين الرجال ، وتعرف كيف تتلاعب بالألفاظ وبالمشاعر .

قال له (فريد) وهو لا يصدق :

- مستحيل ! إنك تتحدث عن (غـلا) .

- كنت أفضل ألا أتحدث عنها .. لم أرد أن أروى لأحد كيف كنت مغفلا ... وأن أضطر للحديث عن أتعس تجربة عشتها فى حياتى .

- أرجوك يا (محسن) .. قل لى كل شىء بالتفصيل .. إننى أخوك ولن تجد من هو أفضل منى لتحكى له .

- وما فائدة أن أروى لك عن ذلك ؟

- ربما استطعت أن أتبين الحقيقة .. فما زلت لا أصدق أن (غـلا) هى نفس الفتاة التى تتحدث عنها الآن .. فمن واقع معرفتى بها .. لا أتصور أن تكون بهذا الوصف الذى وصفتها به .

- أنا نفسى لم أصدق مارأته عيناى .. لكن الحقيقة هى أننى قد خدعت بوساطة هذه الفتاة .

* * *

همست له قائلة :

- لقد جئت لأودعك .

التفت إليها (محسن) قائلاً بجفاء :

ـ هل أنهيت درسك مع (مها) ؟

ـ نعم .

ـ لم تكن هناك حاجة لكى تأتى لتودعينى .. أم أنك جئت لتقدمى مبررات لهذا المشهد الذى رأيته فى الشرفة ؟

ـ لا .. إننى لن أقدم لك أية مبرارات .. وإلا لكنت قد فعلت ذلك من قبل ، بعد العام الذى انقضى منذ فراقنا .

ـ يتعين عليك أن تبتعدى عن أخى .. وأن تتوقفى عن التلاعب بمشاعر الرجال .

قالت له (غلا) فى هدوء :

ـ تستطيع أن تلقى بالاتهامات جزافًا كما تريد .. فأنا لن أدافع عن نفسى أمامك .

وسأعمل على أن تستريح منى تمامًا .. فلن أعود إلى هذا المنزل مرة أخرى .

نظر إليها قائلاً :

ـ لكن (مها) تحتاج إلى وجودك .

ـ إن (مها) الآن فى حالة أفضل مما كانت عليها

من قبل ، ويمكنكم أن تستعينوا بغيرى لكى تكون مستعدة للالتحاق بالمدرسة .

ـ بعد أن جعلتها تتعلق بك .

ـ مع الوقت ستنسانى .

قال لها (محسن) بعصبية :

ـ أتظنين أننا سنلح عليك من أجل البقاء ؟

ـ لايوجد ما يدعو للإلحاح .. ولا أظن أنكم ستحتاجون إلىَ بعد ذلك .

إن الشىء الوحيد الذى سيؤثر فى نفسى هو اضطرارى للابتعاد عن (مها) .. وليتك تصدقنى فيما أقوله هذه المرة .

قال لها بشىء من التردد :

ـ لا يوجد ما يضطرك للابتعاد .. يمكنك أن تبقى .. بشرط أن تبتعدى عن أخى .

ـ لا يا أستاذ (محسن) .. إننى مصرة على قرارى .. سواء أكان أخوك موجودًا أم لا .. فلا أعتقد أن مكانًا واحدًا سيسعنا نحن الاثنين .. من الأفضل أن أغادر هذا المكان، قبل أن تتهمنى بأشياء أخرى أكثر قسوة مما قلت.

قال لها بلهجة جافية :

ـ نعم .. أعتقد أن هذا سيكون أفضل للجميع .

نظرت إليه لبرهة من الوقت .. ثم أسرعت بمغادرة المكان .

وما إن ابتعدت حتى شيعها بنظرات تنم عن حبه ورجائه بأن تبقى ..

همّ بأن يلحق بها .. لكنه سرعان ما تراجع عن ذلك .. وتسمرت قدماه فى مكانهما ..

إنه يحبها .. لكنه لا يستطيع أن يغفر لها ما فعلته به .

* * *

وفى اليوم التالى كان (فريد) قد غادر (القاهرة) متجها إلى (الإسكندرية) ، وهناك اتجه إلى المستشفى الذى يعمل به الدكتور (أحمد) .. حيث طلب مقابلته .

والتقى به الدكتور (أحمد) فى حجرته قائلا :

ـ سمعت أنك ترغب فى مقابلتى .

قال (فريد) فى كياسة :

ـ نعم .. لقد جئت خصيصا لمقابلتك .

ـ أية خدمة ؟

ـ فى الحقيقة أنا لم آت إليك فى استشارة طبية .. بل جئت لأعرف منك شيئا محددا .

ـ وما هو ؟

نظر (فريد) فى عينيه .. وتساءل :

ـ ما الذى تعرفه عن (عُلا) ؟

* * *

دق جرس الباب فى منزل (عُلا) فسارعت لفتحه .

وما لبثت أن تراجعت إلى الوراء وهى تراه واقفا أمامها ..

هتفت قائلة :

ـ (محسن) !!

تأملها قليلا قبل أن يقول :

هل تسمحين لى بالدخول ؟

ترددت بعض الشىء .. قبل أن تقول له :

ـ تفضل .

دعته إلى الدخول لحجرة الصالون .. لكنه بقى واقفا فى مكانه يتأملها بعينيه النافذتين .. ثم ما لبث أن قال لها :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

قالت له (عُـلا) بدهشة :

ـ فعلت ماذا ؟

ـ لماذا لم تخبرينى بالحقيقة ؟

ـ أية حقيقة ؟

ـ الحقيقـة التـى تركتنـى أظلمـك مـن أجلهـا .. وأنعتـك بأسوأ الصفات .. حقيقة مرضـك التـى مثلـت علـىّ دور الخائنة لحبنا ، من أجل أن تخفيها علىّ ..

قالت له وقد ازدادت دهشتها :

ـ (محسن) .. ما هذا الذى تقوله ؟

ـ لا تقولى شيئا .. ولا داعى للمزيد من الأكـاذيب .. فقد عرفت كل شىء .

لقد ذهب (فريد) إلى ذلـك الطبيـب الـذى قدمتـه لـى على أنـه خطيبك فــى (الإسـكندرية) ، واسـتطاع أن يعرف منه الحقيقة كاملة .. ثم عاد ليخبرنى بها .

أطرقت برأسها دون أن تقول شيئا .

بينما استطرد قائلاً :

ـ (عُـلا) .. لماذا أخفيت عنى الحقيقة ؟

نظرت إليه قائلة :

ـ كانت هناك عدة احتمـالات ، لو أطلعتك على حقيقة

مرضـى .. إمـا أن تهجرنـى ، أو يتحـول حبـك لـى إلـى شفقة وعطف ، أو تصـرّ علـى أن تربـط مصـيرك بفتـاة ينتظرها الموت وآلام المرض المبرّحة التى تسبقه .

ولم أكن مستعدة لمواجهة أىّ من هذه الاحتمالات .

ـ ولكنى أحببتك .

ـ ليس بأكثر مما أحببتك .. ولهـذا كـان يتعين علـىّ أن أبعدك عن حياتى .

ـ حتى بعد أن عرفـت أنك قد تماثلت للشفاء من هـذا المرض ؟

ـ لقد تبين لى أنه ليس المـرض وحـده ... هـو الـذى يفصل بينى وبينك ..

فبعد أن رأيت ذلك المنزل الذى تعيش فيه .. وتعرفت أسرتك عن قرب .. عرفت حجم الفارق الاجتماعى الـذى يفصل بيننا .. أنت بنفسك تحدثت عن ذلك حينما ظننت أن هناك علاقة ما تربط بينى وبين أخيك ، كما أننى لـم أكن مستعدة لاستخدام مرضى وسيلة لاستدرار عطفك .. واستعادة حبك الذى تحول إلى قسوة وجفاء .

ابتسم قائلاً :

ـ يا لك من حمقاء !.. أى فارق اجتماعى هـذا الـذى تتحدثين عنه ؟ لقد أحببتك وكنت على وشك الاقتران بك ،

دون النظر لأية اعتبارات أو فوارق ..
كما أن قسوتى وجفائى لم تكن إلا بسبب حبى لك ..
وإحساسى بالمرارة لهجرك المفاجئ لى .
وأمسك بمرفقيها برفق قائلا بصوت مفعم بالعاطفة :
- (عُلا) .. إنك المخلوقة الوحيدة التى أحببتها ..
وما زلت أريدها زوجة لى .
قالت له (عُلا) وهى تقاوم ضعفها :
- (محسن) .. إننى لا أصلح لك .
قال لها وهو يتأملها بعينيه :
- وأنا لن أقترن بفتاة أخرى سواك .
- إننى فتاة فقيرة ومريضة .
- لن أقبل هذا الادعاء .. فقد أكد الطبيب أن هذا المرض قد غادر جسدك تماما .. كما أنك لست بالفتاة الفقيرة أبدا ، وأنت تملكين كل هذه المشاعر الرائعة .. والقلب الكبير .
- ولكننى لم أعد أحبك .
- هل تستطيعين أن تقولى ذلك وأنت تنظرين فى عينى ؟
خلصت مرفقيها منه وأولته ظهرها قائلة :
- وهل تظن أن أسرتك ستقبلنى زوجة لك ؟
ابتسم قائلا :

- إن أسرتى قد أوفدت شخصين لينوبا عنها فى طلب يدك .
وأجبرها على أن تستدير لتواجه الباب الذى كان ما زال مفتوحا .. ونظرت إلى الشخص الذى دلف من الباب قائلة :
- (فريد) !
ابتسم (فريد) قائلا :
- لقد جئت نيابة عن أمى لطلب يدك لأخى الكبير ..
وأرجو ألا تخيبى رجائى .
بالمناسبة لقد عملت بنصيحتك وخطبت ابنة خالتى ..
وأتمنى أن يقام زفافنا أنا وأخى فى يوم واحد .
قال لها (محسن) وهو يقترب من باب الشقة :
- هناك شخص آخر لن تستطيعى أن تخيبى رجاءه .
ثم دلف إلى الداخل مرة أخرى .. وهو ممسك بيد أخته الصغيرة .
علت الابتسامة وجه (عُلا) وهى تهتف قائلة :
- (مها) !
أسرعت الطفلة لترتمى بين أحضانها قائلة :
- لماذا لم تعودى تأتين إلى منزلنا ؟
قالت لها (عُلا) بحنان :

- سآتى يا حبيبتى لو أردت ذلك .

قالت لها الطفلة وهى تلقى برأسها على صدرها ، وتشير بإصبعها الصغير إلى (محسن) :

- إننى أريد شيئا آخر .. إن أخى يريد أن يتزوجك .. وأنا أيضًا أريد ذلك .

ضمتها (عُلا) إلى صدرها قائلة :

- يا حبيبتى !

وأخذها (فريد) من بين ذراعيها قائلاً وهو ينقل بصره بين (محسن) و(عُلا) :

- هيا بنا يا (مها) .

بينما اقترب (محسن) من (عُلا) قائلاً بصوت هامس وهو يتناول يديها بين يديه :

- والآن .. هل توافقين ؟

ابتسمت (عُلا) فى حياء قائلة :

- ما كنت لأستطيع أن أرفض طلبًا لـ (مها) .

قال لها مداعبًا :

- إذن تريدين أن تقولى إنك موافقة فقط من أجل (مها) .. وإنك لم تعودى تحبيننى .

تطلعت (عُلا) إليه بعينين تكشفان عن الحب الكبير الذى طالما حاولت إخفاءه قائلة :

- إننى لم أحب أحدًا سواك .. وحبك هو الشمعة الوحيدة التى لم تنطفئ فى ظلمات نفسى ..

ضمها إليه قائلاً :

- سأبذل قصارى جهدى لأجعلك تسعدين معى .. وأعاهدك على أننى سأبقى أحبك دائمًا .. وأن شموع حبنا لن تنطفئ ابدًا .

* * *

[تمت بحمد الله]

زهور

— سلسلة رومانسية رفيعة المستوى —

المؤلف



أ. شريف شوقى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب

أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

شمعة لا تنطفئ

أرادت (علا) أن تحتفظ

بذكريات حبها على النحو الرائع

الذى عاشته ، فأخفت حقيقة آلامها

عن (محسن) ، وتعمدت أن تدفعه إلى

الابتعاد عنها .. لكن شموع الحب التى

أضاءت قلبيهما لم تكن

لتنطفئ .

61

الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم